

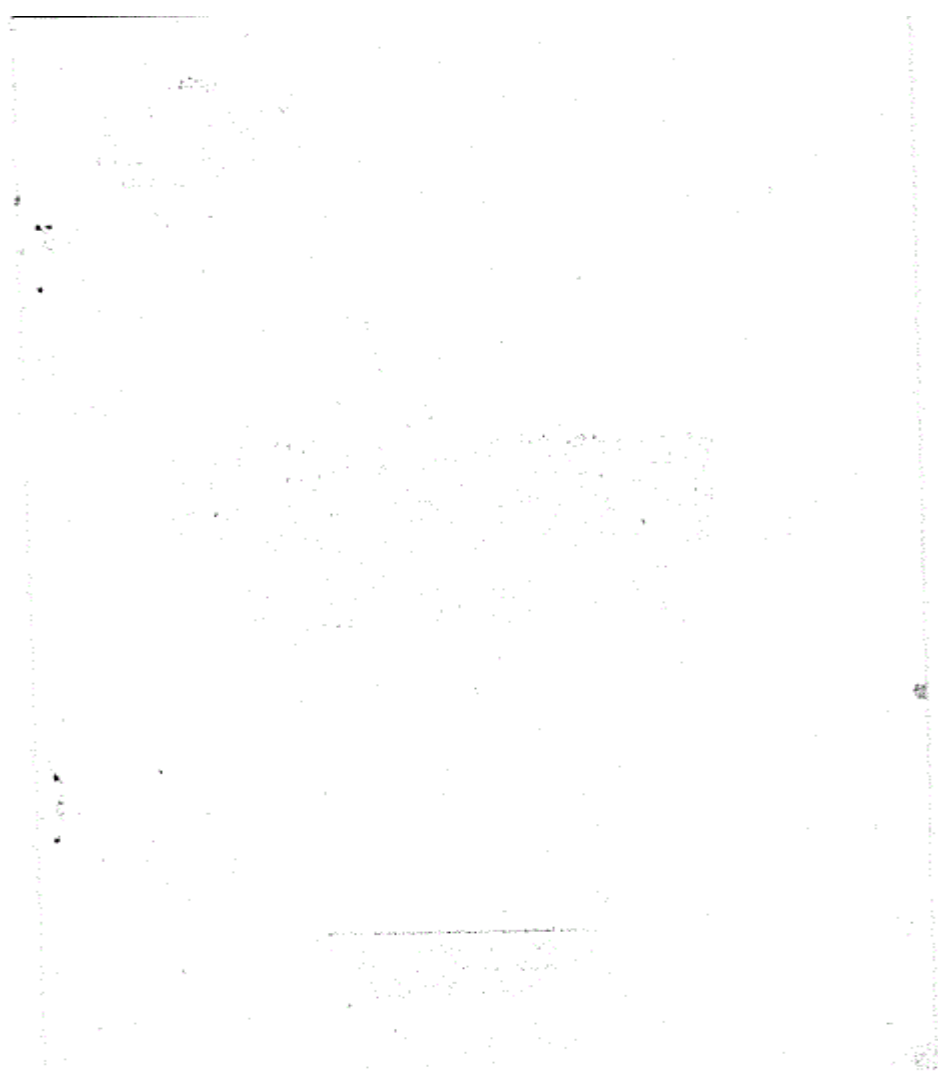


مكتون

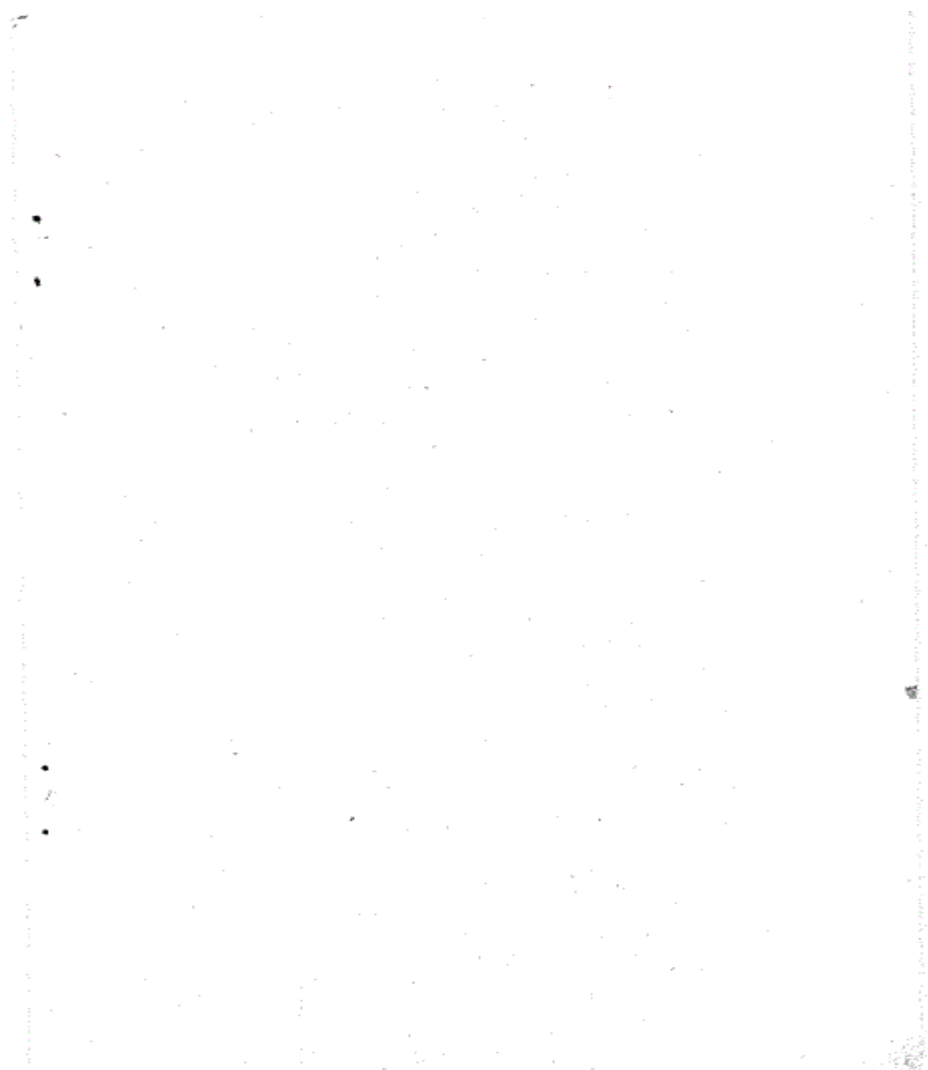
محمد بن عبد الوهاب  
المكتون  
مكتون  
مكتون

# الشعراء العرب الشجعان في الإسلام

المطبعة التجارية الحديثة  
٢٢ شارع ادريس راغب - القاهرة  
تليفون ٩٠٣٣٦٤ القاهرة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## المقدمة

تحدثنا في الكتاب الأول عن ( الشعراء الشجعان ) في الجاهلية ، حيث أن أكثر شعراء الجاهلية كانوا من الفرسان والأمرء وأهل الحرب ، وأكثر أشعارهم كانت في الحماسة والفخر بما بين قبائلهم من التنازع ومرجع ذلك كله إلى العصبية ، كل قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها - فلما جاء الإسلام وجمع كلمة العرب وذهبت العصبية الجاهلية سلك الشعر طريقا آخر ، واتخذت الحماسة والفخر مسلكا يغاير هذا المسلك الذي سلك في الجاهلية فاذا افتخر الشاعر الجاهلي بقيس أو تميم افتخر الشاعر المسلم بالإسلام على حد قول الشاعر الإسلامي :

أبى الإسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم  
وكان هدف الشعراء المسلمين الذود عن دينهم والوقوف ضد من يحاول أن يمس من قريب أو بعيد الدعوة الإسلامية ، أو أن ينال من قائدها العظيم محمد ﷺ ، ولذلك كان الرسول ﷺ يشجع الشعراء الذين نصّبوا أنفسهم حراسا ومدافعين عن الدعوة الإسلامية « ولم يكن يرى بأسا من انتصار الشعراء له يدفعون عنه أقوال شعراء قريش الذين جاءت الآية الكريمة بالظعن عليهم ، وتوعدهم الرسول ﷺ ، ففر بعضهم من وجهه ، ومات البعض الآخر<sup>(١)</sup> » .

وقد كان من أشهر من هجا المسلمين ثلاثة : عبد الله بن الزبير ، وأبو سفيان ، وعمر بن العاص ، وأن النبي ﷺ قال للانتصار : ما يمنع الذين نصرنا رسول الله ﷺ بسلامتهم أن ينصروه بالسنتهم ، فانتصب للدفاع عنه ثلاثة هم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وكان يرى لأشعارهم تأثيرا في أعدائه ومن أقواله « ﷺ هؤلاء نفر ( الشعراء ) أشد على قريش من نضج النبل »

(١) العمدة ٧ ج ١ وانظر تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان .

وقال لحيان مرة : أجههم ( يعنى قريشا ) فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام . أجههم ومعك جبريل روح القدس واللق أبا بكر يملك تلك الهنات<sup>(١)</sup> وهذا التوجيه النبوى قد أثمر في صقل مواهب الشعراء المسلمين ، فأثنت أكلها عند الفتح وقبله فقد بدأ المعنى الإسلامى يتضح في الشعر ويعمق ، وصارت الشخصية الإسلامية تتميز عن شخصية الشاعر الجاهلى ، فبعد أن كان الفخر بقوة العدة والعدد وبلاء القبيلة وكسب المغنم وسبى العدد ، صار الفخر في شعر المسلمين بنيل الشهادة في سبيل الله وانتصار جند الله وأمة المسلمين على أعداء الله المشركين وصار الكسب كسب رضوان الله ورسوله لا كسب الثاة والبعر ، وكان طبيعيا لذلك أن يكون أسلوب الشعر خاضعا للمعنى الجديد فعدت لغة الشعر سهلة لينة ابتعدت عن خشونة الكلمة الجاهلية ، وصعوبة تركيب عباراتها ولذلك فليس بغريب أن يلين شعر حسان ، ويسلس شعر كعب ، أما ابن رواحة فيكاد أن يكون شعره كلام المتخاطبين وهو حديث النفس المؤمنة التي تفصح دون أعياء أو تعقيد ، وكان لجودة هذا الشعر وخصبه أن ساهم مساهمة فعالة في نشر الدعوة واخضاع المشركين والمتمردين على الدين ، فيكفى أن يتفوق حسان على شاعر تميم ليسلم ذلك الوفد ويشهد الا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، كما أن أبياتا قالها كعب بن مالك بعد حنين توضح الرعب في قلب دوس فتسارع الى اعلان اسلامها واستسلامها ، فكان شعر هؤلاء الشعراء سيفا مصلتا على رقاب المشركين ، وسلاحا ماضيا بيد رسول الله ﷺ يخضع به أعداء الدين . وسار الخلفاء الراشدون على خطة الرسول ﷺ في تحريض الناس على الجهاد ، فقد رووا لأبى بكر رضى الله عنه قصيدة حماسية قالها في بعض الغزوات كما رووا للخليفة الرابع على بن أبى طالب شعرا كثيرا قاله في صفين<sup>(٢)</sup> وفي غزوة بدر حين ازدادت الدائرة على المشركين في يوم بدر ، وكتب الله النصر للمسلمين بهذا العدد القليل ، فانطلقت السنة الشعراء المسلمين تذكر النصر المؤزر الذى ظفر به النبى وأصحابه وتعدد

بقريش وأبطالهم الذين صرعهم النى والضلال ولم تغن عنهم كثرتهم  
شيئا ومن هؤلاء - الشعراء الحمزة بن عبد المطلب ، وكعب بن مالك  
فقد روى له ابن هشام ثلاث قصائد ، وحسان بن ثابت وقد روى له  
ابن هشام أيضا تسع قصائد في هذه الواقعة وحدها ، وممن أشاد  
بالمشركين ، ويكى قتلاهم الحارث بن هشام بن المغيرة ، وضرار بن  
الخطاب وعبد الله بن الزبير ، وأبو بكر بن الأسود ، وأميرة بن أبي  
الصلت ، ومعاوية بن زهير بن قيس ، وهند بنت عتبة ، ولها أربع قصائد  
في رثاء أبيها وقومها وصفية بنت مسافر . وهكذا نرى الشعر ينشط في  
تلك الفترة نشاطا ملحوظا ويجرى على السنة الرجال والنساء ، وقد بلغ  
التنافس أوجه بين شعراء الاسلام والعقيدة ، وشعراء الكفر والضلال  
فاذا قال شاعر من المسلمين قصيدة في الفخر بما كتب الله لهم من النصر ،  
تصدى له شاعر من المشركين يحاول أن يهدم فخره وينقض قوله فان  
أنشد الحمزة بن عبد المطلب قصيدته التي مطلعها :

ألم تر أمرا كان من عجب الدهر وللحين أسباب مبينة الأمر  
أجابه الحارث بن هشام بن المغيرة بقصيدة على رويها ووزنها  
الا يا لقومي للصباية والهجر وللحزن منى والحرارة في الصدر  
وحين يقول على بن أبي طالب في يوم بدر :

ألم تر ان الله أبلى رسوله بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل  
يجيبه الحارث بقصيدة على وزنها وقافيتها مطلعها :  
عجبت لأقوام تغنى سفيهم بأمر سقاء ذى اعتراض وذى بطل  
وينشد ضرار بن الخطاب بن مرداس في النيل من الانتصار والتعديد  
بالانتقام منهم :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر عليهم غدا والدهر فيه بصائر  
ويجيبه كعب بن مالك وهو من شعراء النبی ﷺ بقوله :  
عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ليس له قاهر  
ويكى عبد الله بن الزبيرى صرعى بدر من وجوه المشركين بقصيدته  
ماذا على بدر وماذا حسوله من فتية بيض الوجوه كرام



فيشمت فيه صنوه الشاعر حسان بن ثابت ، ويتمنى أن تكون  
دموعه دما :

ابك بكت عيناك ثم تبادرت بدم تمل غروبها • سجام  
ولا ينسى ابن الزبير شامة حسان ، فاذا كان يوم أحد الذي  
ابتلى فيه المؤمنون أسرع الى الزهو بما أصاب المشركون في هذا اليوم  
الذي ثاروا فيه لقتلهم فيقول قصيدته التي أولها :

يا غراب البين أسيمت فقل انما تنطق شبيثا - قد فعل  
ولا ينسى أن يشتفى بحسان بن ثابت الذي سأل له البكاء الطويل  
والحزن المقيم يوم بدر فيقول :

أبلغنا حسان عنى آية فقريض الشعر يشفى ذا النخل  
ويذكره حسان بيوم بدر وما نال المشركين فيه ، وبأن الأيام دول  
فيقول :

نزلت بابن الزبير ضربه كان منا الفضل فيها لو عدل  
ولقد نلتم ونلتنا منكم وكذلك الحرب أحيانا دول

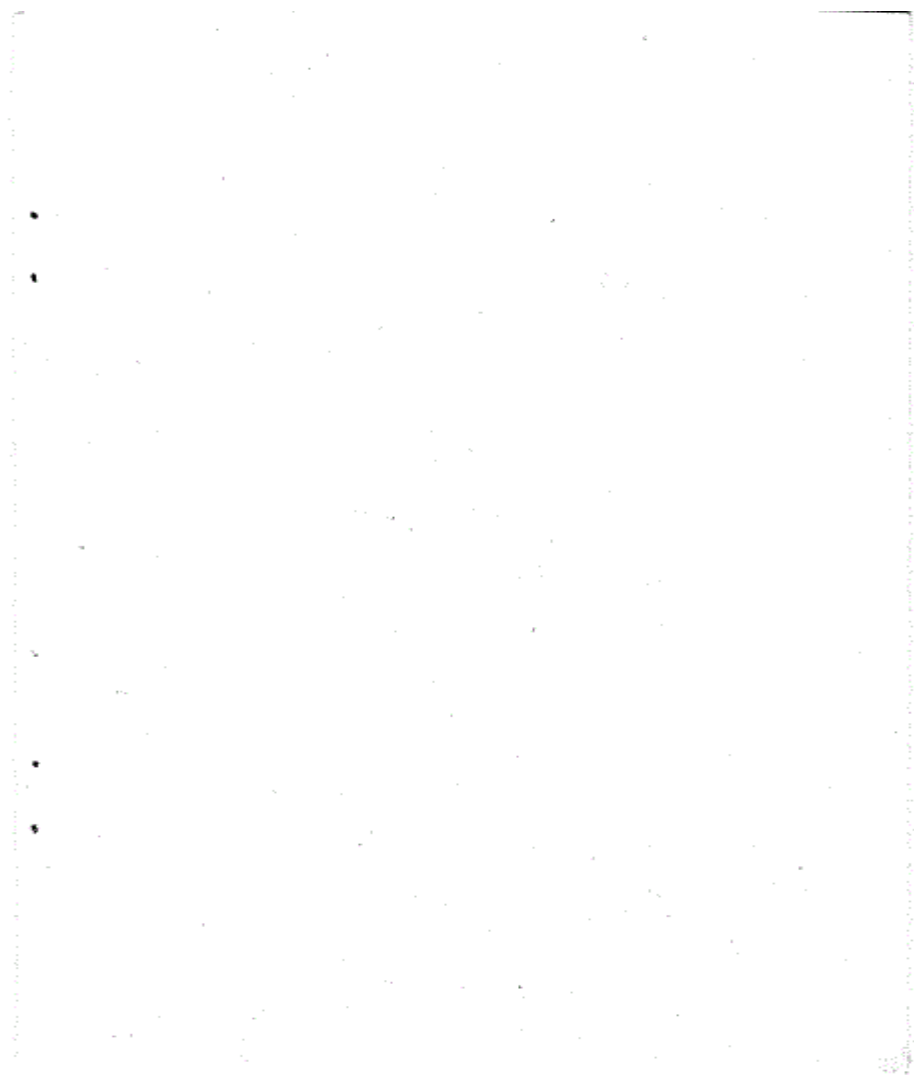
وقد سبق أن قلنا أن النبي ﷺ كان يشجع شعراءه ، ويعد قولهم  
جهادا في سبيل الدين ، وأن فعل شعراءهم لا يقتل في الاعداء عن فعل  
السيوف التي يحملها المحاربون في رقاب أعدائهم المشركين<sup>(١)</sup> .

(١) أدب صدر الاسلام : محمد خضر من ١٨٨ بيروت طبعة خاصة .

## الفضل الأول

شعراء الرسول

صلى الله عليه وسلم



### كعب بن مالك

أبو عبد الله كعب بن مالك الأنصاري ، أبوه مالك بن كعب بن سواد  
ابن غنم بن كعب بن سلمة ( بكسر اللام ) بن سعد بن علي بن أسد بن  
ساردة السلمي ، وساردة هو ابن يزيد بن جشم بن الخزرج والخزرج  
من الأزد وهم من قحطان .

وكان كعب بن مالك يكتفي في الجاهلية ، فكتاه النبي ﷺ أبا عبد الله ،  
وكان يقال له أيضا أبو عبد الرحمن<sup>(1)</sup> .

وبعد أبو عبد الرحمن من مشاهير الشعراء الشجعان — ولا غرو  
في ذلك ولا عجب فقد ورث تلك الصفات عن أبيه ، فأبوه مالك من مشاهير  
رجال يثرب ، قبل الإسلام وكان شاعرا شجاعا ، وله في حروب الأوس  
والخزرج ذكر وآثار .

وقومه بنو سلمة مشهورون بتسابقهم إلى فعل المكرمات وكل ما فيه  
منبهة وذكر للمرء . من تقوى وسماحة وشجاعة وحب للخير — فلقد أراد  
بنو سلمة أن ينتقلوا قرب مسجد الرسول ﷺ حرصا منهم على أداء  
فروضهم ، وليكونوا أقرب إلى مركز الهداية والنور المحمدي فبلغ  
ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : « انه بلغني انكم تريدون الانتقال قرب  
المسجد ؟ فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال لهم ﷺ أمرا نهم  
بالالتزام بديارهم حتى يكتب آخر خطواتهم وسعيهم إلى المسجد وذلك  
كما روى البخاري في صحيحه « بنو سلمة دياركم تكتب  
إلى الخيرات والمكرمات ، ويريد أن يكون أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ .

وفي موقعة أحد التي ظهر بها جانب عظيم من بطولة كعب بن مالك ،  
صاحب الترجمة وقف عبد الله عمرو بن حرام السلمي موقفا بطوليا من أول  
المعركة حتى استشهد ، كان أول مواقفه حينما شهد عبد الله بن أبي بن سلول

(1) انظر الاغانى ( ترجمة كعب مالك ) .

ينخذل عن رسول الله بثلاث الناس قبل بداية المعركة ، فأخذ ينصحهم قائلاً : « يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم قالوا : لو نعلم انكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكن نرى انه لا يكون قتال » .

وأخذ يحاورهم ، فلما استمعوا عليه قال لهم : أبعدكم الله اعداء الله ، فسيغنى الله عز وجل عنكم بنبيه ﷺ وأنزل الله تعالى : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » وقوله تعالى : ( وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا فقاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ) .

وفي معركة أحد نفسها ظهر تكتل آل سلمة وحسن دفاعهم ، وثباتهم في المعركة والشئ من معدنه لا يستغرب وهذا الشبل من تلكم الأسود الضواري الذين شهدوا المشاهد ، وكان لهم حيث بلغ مداه الخافقين ، وتغنى بهم التاريخ وكان كعب في مقدمة الشجعان الأشاوس المتحمسين للدعوة النبوية والذين قاموا بدور رائد نشيط في البيعة الثانية (الكبرى) وقد كان شديد الاعتزاز باشتراكه في هذه البيعة وهي عنده أهم من موقعة بدر وقد عبر عن ذلك بقوله « ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواتقنا على الاسلام وما أحب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس منها<sup>(١)</sup> وكان يتمتع ببعد النظر ، وقدرة على استشفاف الأحداث فما هو يتنبأ منذ يوم بدر بالفتح ، ويتوقع أن تتدفق خيل المسلمين تطلع من كداء يرقبها أبو سفيان يقول كعب : —

فلا تمجل أبا سفيان وارقب جياذ الخيل تطلع من قباء بنصر الله روح القدس فيهما وميكال فيا طيب — الملاء وقد شهد كعب المشاهد كلها عدا غزوة بدر وتبوك ، أما بدر فقد صرح بذلك في حديث التوبة إذ قال : « لم اتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها الا في غزوة تبوك ، غير اني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها ، انما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد<sup>(٢)</sup> » .

(١) صحيح البخاري : باب غزوة تبوك .

(٢) البخاري : غزوة تبوك .

ولعلله العذر المبرر لتخلفه في هاتين الغزوتين، أما عذره في تخلفه عن بدر فإن الاشتراك في هذه الواقعة لم يكن ملزما لجميع المسلمين كما حدث ذلك كعب عن هذا ، وأما عذره في تخلفه عن تبوك فقد كان كعب رضى الله عنه صاحب حس مرهف ومزاج شاعري ولعل نفسه قد خامرها شيء من هذا السفر البعيد في حماسة القيظ ومالت الى الظل والماء ، فتردد في الخروج ، وطال تردده فلم يشعر الا وقد خرج الناس وجد بهم المسير وإذا هو حيث هو من داره<sup>(١)</sup> فاستولى عليه تدم شديد ، ولكل شجاع هفوة ولكل جواد كبوة<sup>(٢)</sup> .

ومن ذا الذى ترجى سحايه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معاييه ولقد استغل ملك غسان هذه الهفوة من كعب فأرسل اليه نبطيا من أنباط الشام وكانت بينه وبين كعب قرابة ونسب ، أرسل اليه كتابا يقول فيه أما بعد قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ! ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضية ! فالحق بنا نواسك ! .

ولكن كعبا كان عميق الايمان حاد الذكاء فأدرك خطر هذه الدعوة الماكرة ، وأدرك أن وراءها ضياعا حقيقيا وخروجا عن المجتمع الاسلامى ، فما كان منه الا أن ذهب الى القنور فأوقد بها ناره ، وصرف الرسول الغسانى ، وقد أكرمه الله بقبول توبته مع التائبين حيث نزل قوله تعالى : «لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآيات»<sup>(٣)</sup> وشاعرنا لم يكن جبانا رعيديا حتى يتخلف عن الحرب بل كان شجاعا صنديدا فهو رجل حرب كما هو رجل شعر ، ويكفى أن النبي ﷺ شهد له بالاقدام والجرأة والفروسية فقال : « أنت تحسن صناعة الحرب » .

ولقد كان الشعر والشجاعة في التاريخ العربى صنوين قلما يفترقان .

ويحدثنا التاريخ عن شجاعة كعب النادرة وجرأته الفائقة تقول حفيده « عميرة بنت عبد الله بن كعب عن أبيها الخ » أنه لما انكشف الناس

(١) اسد الغابة .

(٢) انظر صحيح البخارى : باب غزوة تبوك .

(٣) الآيات ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ سورة التوبة .

يوم أحد كان كعب أول من عرف رسول الله ﷺ ، فبشر به المسلمين حيا سويا ، بعد أن عرف عينيه تحت المغفر فأخذه ينادي « يا معشر الأنصار » أبشروا بهذا رسول الله ﷺ ، قال فأنشأ إلى النبي ﷺ « أن اصمت ثم دعاه فلبس لامته ، واللبس كعبا لامته وقاتل يومئذ كعب قتالا شديدا حتى جرح أحد عشر أو سبعة عشر جرحا وتدل هذه الرواية على شجاعته وبسالته وعلى أنه كان مقربا من الرسول الأمين وإن حجم لامته وحجم لامة النبي كانا متقاربين إن لم يكونا متماثلين ، وإن هذا التصرف من الرسول الكريم يعتبر تشريفا وتكريما لكعب رضى الله عنه (١) .

وكان كعب في غير الحياة العسكرية رجلا مهما أيضا يثق فيه الرسول ﷺ ، ويسند إليه بعض المهام فقد ولاء في السنة التاسعة للهجرة صدقات أسلم وغفار ، كما بعثه ينادي في الناس بمعنى في حجة الوداع أن أيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله لينتهي الناس من صيامهم وغير ذلك من المهام القيادية التي أهلتها خبرته وتجاربه العديدة .

#### شعره :

يقول ابن كثير عن كعب أنه شاعر الاسلام (٢) وقال عنه الجمحي في طبقات فحول الشعراء انه شاعر مجيد ، ومما يدل على علو منزلته الشعرية ان عائشة رضى الله عنها كانت تحفظ شعره وترويه « الشعر منه حسن ومنه قبيح ، خذ الحسن ودع القبيح » ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعارا منها القصيدة فيها أربعون بيتا ودون ذلك (٣) . ومن مميزات كعب رضى الله عنه أنه كان حاضر البديهة الشعرية ، وكان قومه من الأنصار يعتزون ببديعته ويلجأون إليها في موقف الفخر والاعتزاز ، ومن المواقف التي تدل على حضور بديعته ، موقفه يوم خيبر من مرحب اليهودي ، فقد خرج مرحب من حصن اليهود مرتجزا (٤) .

(١) الديوان : وانظر زهر الاداب .

(٢) شرح البلاغة المجلد ( ٤ ) ٤٤٨ .

(٣) انظر الديوان وفي مقدمة الديوان : منهما كانا متقاربين في الصورة والخلقة ففضل ان يكون هدفا للمشركين بدلا من الرسول ﷺ .

(٤) البداية والنهاية ج ٨ ترجمة كعب .

قد علمت خير .. انى كعب  
ألمن أحيانا ، وحينا أضرب  
قد علمت خير .. انى كعب  
ماض على الهول ، جرى صلب  
بكف ماض ليس فيه عتب  
تدلكم .. حتى يذل الصعب

وقد قال كعب الشعر في أغراض عدة وأعظم الأغراض التي قال فيها  
الشعر هي : في الدفاع عن الاسلام والرد على أهاجي شعراء الكفر ودحض  
مفترياتهم كما امتاز بشعر النقائض وهو شعر يقوم على المفارقة وقوة  
الحجة وحضور البديهة والارتجال على أن أكثر شعره كان في الدعوة  
الاسلامية ومجادلة الأعداء .

يقول كعب في اجلاء بني النضير :

لقد خزيت بغدرتها الخبور  
وذلك أنهم كفروا برب  
فقالوا ما أتيت بأمر صدق  
فقال بلى لقد أديت حقا  
فمن يتبعه يهد لكل رشدا  
فلما أشربوا غدرا وكفرا  
أرى الله النبي برأى صدق  
وكان الله يحكم لا يجور

ولم يكن العرب في جاهليتهم بطبيعة الحال يستخدمون لفظ الاسلام ،  
لأنه مصطلح للدين الجديد الذي بشر به محمد ﷺ ، وقد ورد في قوله  
تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » فاستعمل الشعراء الاسلاميون هذا  
اللفظ في شعرهم ومنهم شاعرنا كعب .

بخالد ما بقينا أو تنبوا  
الى الاسلام اذعانا مضيفا  
وكم من معشر البوا علينا  
صميم الجذم منهم - والحليفا  
أتونا لا يرون لهم كفاء  
فجدعنا المسامع والأنوفا  
لأمر الله والابلام حتى  
يقوم الدين معتدلا حنيفا  
ويروى الأغاني قال كان يهجو قريشا ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم



ويردون عليهم أهليهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم إلى الكفر ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر ، فكانوا في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان وكعب ، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة فلما أسلموا وفقهوا الاسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ، ولما تعرض بعض المشركين لهجاء الرسول ﷺ قام ابن رواحة فقال يا رسول الله ائذن لي في الرد فقال أنت الذي تقول « فثبت الله » قال نعم يا رسول الله أنا الذي أقول .

فثبت الله ما أعطاك من حسن

تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فقال وأنت فعل الله بك مثل ذلك فوثب كعب بن مالك فقال يا رسول الله ائذن لي فقال أنت الذي تقول « همت » قال نعم يا رسول الله أنا الذي أقول همت سخيئة أن تغالب ربها

وليغلبن مفسد الب نـ

فقال أما إن الله لم ينس لك ذلك ولما انهزم المشركون يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ إن المشركين لن يفرزوكم بعد اليوم ولكنكم تغزونهم وتسمعون منهم أذى ويهجونكم ، فمن يحمي أعراض المسلمين فقام عبد الله بن رواحة فقال أنا فقال أنك لحسن الشعر ثم قام كعب فقال أنا فقال وأنت لحسن الشعر ، وكثيرا ما كان الرسول ﷺ يستنشد كعبا الشعر ويستعيده ويستزيده يروى ابن سيرين قال وقف رسول الله ﷺ بباب كعب بن مالك فخرج فأنشده ثم قال أيه فأنشده ثم قال أيه فأنشده ثلاث مرات فقال رسول الله ﷺ لهذا أشد عليهم من وقع النبل .

ويكفي هذا التقدير لشعر كعب من أمام البلغاء وسيد الفصحاء وقد قال معاوية يوما لجلسائه أخبروني بأشجع بيت قالته العرب أو وصف به رجل قومه فقال روح بن زبياع قول كعب بن مالك :  
نصل السيوف أنا قصرن بخطونا يوما ونلحقها إذا لم تلحق

فقال له معاوية صدقت ، وكعب أحد من عاون عثمان رضي الله عنه على من قاموا ضده وشهر سلاحه لمناصرته ، فلما ناشد سيدنا عثمان الناس أن يغمدوا سيوفهم انصرف ، ولم ير أن الأمر يخص إليه ولا يجترئ القوم إلى قتله فلما قتل وقف كعب على مجالس الأنصار في مسجد رسول الله فأنشدتهم :

من مبلغ الأنصار عن آية  
ان قد فعلتم فعلة مذكورة  
بقعودكم في داركم وأميركم  
بيننا يرجى دفعكم عن داره  
حتى اذا خلصوا إلى أبوابه  
يعلون قتله السيوف وأنتم  
الله يعلم أنني لم أرضه  
يا لهف نفسي اذ يقول ألا أرى  
والله لو شهد ابن قيس ثابت  
وأبو دجانة وابن أقرم ثابت  
ورفاعه العمري وابن معاذ هم  
قوم يرون الحق نصر أميرهم  
وأبو دجانه سماك بن خسرشة وابن أقرم ثابت البلوي وأخو  
المشاهد من بني عجلان معن بن عدى عقيب ورفاعه بن عبد المنذر العمري  
وابن معاذ سعد بن معاذ وأخو معاوية المنذر بن عمرو الساعدي<sup>(١)</sup> عقيب  
بدرى — فجعل القوم بعد سماعهم شعر كعب يبكون ويستغفرون  
الله ، وما دفعه إلى هذا إلا حبه وتشيعه لسيدنا عثمان رضي الله عنه ولعل  
هذا هو ما دفع بعض من يقول عنه انه كان عثمانيا وهو أحد من قعد عن  
نصرة سيدنا علي كرم الله وجهه فلم يشهد حروبه وخاطبه في أمر عثمان  
رضي الله عنه وقتله خطأ ثم اعتزله •  
وله شعر كثير في تحريض الأنصار على نصرته قبل قتله وتأييب لهم  
على خذلانه — كما تقدم — ومنها :

(١) انظر الأغانى ج ١٥ ص ٢٦ — ٢٨ طبعة ساسى •

فلو حلتوا من دونه لم يزل لكم مدى الدهر طرا لا يبوح ولا يسرى  
ولم تقعدوا والدار كاب دخانها يحرق فيها بالسعير وبالجمر  
فلم أر يوما كان أكثر ضيقة وأقرب منه للنفوية والنكر<sup>(١)</sup>  
ويورد على شعراء مكة بقوله :

وأن تزوا أمرنا في رأيكم سفسا فرأى من خالف الاسلام تضليل  
ولا شك أن المسلم حريص على أن يتسلح في جهاده ضد الأعداء -  
بسلح التقوى بالإضافة الى السلاح المادى ، وشاعرنا كعب يفخر بأن  
التقوى بعض ما يلبسه المؤمنون في لقاءهم مع الأعداء حيث يقول :  
تلكم مع التقوى تكون لباسنا يوم الهياج وكل ساعة مصدق  
وصفة العبودية لله هي مما يعتز به المؤمن لأن في ذلك غنى عن  
الخلق ، وابتغاء لرضا الخالق جل جلاله يقول كعب :  
في عصبة نصر الاله نبيهم بهم وكان بعدد ذا مرفق  
ويقول ردا على ضرار بن الخطاب :

مسبرنا لا نرى لله عدلا على ما نابنا متوكليننا  
لننصر أحمدا والله حتى نكون عباد صدق مخلصينا  
ولم يكن الجاهلى يعلم أن هناك حسبا ينتظره بعد موته ، فجاء  
الاسلام مبينا ما يجزى به الله سبحانه الخلق في الدار الآخرة . ان خيرا  
فخير وان شرا فشر ، وشتان بين العاملين كما قال كعب :  
شتان من هو في جهنم ثابوا أبدا ومن هو في الجنان مضلد  
ويخاطب حمزة بن عبد المطلب بعد استشهاد :  
عليك سلام ربك في جنان مخالطها نعيم - لا يزول  
ويقارن بين قتلاهم وشهداء المسلمين وأن الشهداء في جنات النعيم  
أما قتلاهم فهم في النار .

وقتلاهم في جنات النعيم كرام المداخل والمخرج  
كذلك حتى دعاهم مليك الى جنبة دوحه المولج  
ويورد على المشركين بعد استشهاد سعد بن معاذ :

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٦ .

فأما تقتلوا سعدا سقاها فان الله خير القادرينا  
سيدخله جنانا طيبات تكون مقامة للصالحينا

وكعب يهدد أبا سفيان بفتح مكة على أيدي المسلمين :

فلا تعجل أبا سفيان وأرقب جساد الخيل تطلع من كداء  
بنصر الله روح القدس فيهما وميكال فيسا طيب المنلاء

ويعير الكفار بيوم بدر الذي حقق الله فيه النصر للمؤمنين :

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر ميكال وجبريل  
ويقول فيها أيضا :

الاهل أتى غسان في ناي دارها وأخبر شيء بالأمور عليمها  
بان قد رمتنا عن قسي عداوة معد ، مما جهالها وحليمها  
لأنا عبدنا الله ، لم نرج غيرهم رجاء الحنان اذ أتنا زعيمها  
نبي له في قومه ارث عزة واعراق صدق هذبتها أرومها<sup>(١)</sup>  
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا أسود لقاء لا يرجي كليهما<sup>(٢)</sup>  
ضربناهم حتى هوى في مكرنا لنخر سوء من لؤي عظيمها<sup>(٣)</sup>  
فولوا ودسناهم بيض صوارم سواء علينا حلفها وصميمها<sup>(٤)</sup>

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

(١) الأرومة : الأصل .

(٢) الكلبي : الجريح .

(٣) المكر : موضع الكر : الحرب .

(٤) الصميم : الخالص ، والحليف : من ليس من القوم .

### عبد الله بن رواحة

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ابن الأنصاري الخزرجي الشاعر المشهور يكنى أبا محمد ويقال كنيته أبو رواحة وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو ابن الاطنابة الخزرجية .

وكان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا وما بعدها الى أن استشهد بمؤته روى عنه ابن عباس وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وكان صادق الايمان اذا لقي الرجل من أصحابه يقول له تعال بنا نؤمن ساعة وفيه قال النبي ﷺ رحم الله ابن أبي رواحة انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة ، وكان عبد الله كبير القدر في الجاهلية وكان كاتباً والكتابة في العرب قليلة ، شاعرا اشتهر بالنقائض ، وكثيرا ما كان يناقض قيس بن الخطيم ، جند شعره في خدمة رسول الله والدعوة الاسلامية ، متفانيا في طاعة الله ورسوله ، أتى النبي الكريم وهو يطلب فسمعه يقول : اجلسوا ، فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ النبي ﷺ من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال له : زادك الله حرصا على طواحيه الله وطواحيه رسوله ، ولما آذن القتال كان ابن رواحة أول خارج الى الغزو وآخر قافل<sup>(١)</sup> وقال ابن اسحق كان زيد بن أرقم يتيما في حجر عبد الله ابن رواحة ، فخرج معه الى سرية مؤتة فسمعه في الليل يقول :

اذا أدنيتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء  
فشأنك فانعمي وخلاك ذم ولا أرجع الى أهلي ورأى  
وجساء المؤمنون وخلفوني بأرض الشام مشهور - الثراء

فبكى زيد فحفظه بالدرة فقال ما عليك بالكعب أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبي الرجل<sup>(٢)</sup> وقد حضر المشاهد كلها - كما تقدم - وأرسله رسول الله ﷺ الى العالية ليبشر أهلها بوقعة بدر ودخل النبي

(١) الاصابة ص ٦٦ حرف العين .

(٢) نفس المصدر السابق .

بعد سنوات الجهاد مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة أخذ بزمام  
فاقته يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله  
يا رب انى مؤمن بقييله أعرف حق الله في قبوله  
فقال عمر بن الخطاب : يا بن رواحة في حرم الله ، وبين يدي رسول  
الله ﷺ هذا الشعر ؟ فقال الرسول ﷺ خل عنه يا عمر ، فوالذي  
نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل ثم قال :  
يا رب لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا .. ولا صلينا  
هأنزلن سبابة علينا وثبت الأقدام اذ لاقينها  
ان الكفار قد بغوا علينا

فقال النبي ﷺ ، اللهم ارحمه فقال عمر : وجبت ، ولما نزل قوله  
تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاؤون » قال ابن رواحة انى منهم  
هأنزل الله : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا  
وانتصروا من بعد ما ظلموا » الآية .

وقال عبد الله بن رواحة مررت في مسجد الرسول ورسول الله ﷺ  
وآله جالس وعنده أناس من الصحابة في ناحية منه فلما راوئى قالوا  
يا عبد الله بن رواحة فيجئت فقال اجلس ههنا فجلست بين يديه فقال  
كيف تقول الشعراء قلت أنظر في ذلك ثم أقول قال فعليك بالمشركين ولم  
أكن هيات شيئا فنظرت ثم أنشدته فذكر الابيات ففجأ :  
فتثيت الله ما أتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا<sup>(١)</sup>

قال فأقبل بوجهه متبسما وقال وانيك فتثيتك الله ومن أحسن ما مدح  
به النبي ﷺ :

لم لم تحن فيه آيات مبينة كانت يديها تتبيك بالخير  
وتقرأ شعر ابن رواحة فيتمثل لك فارسا تجمعا يسترخي المهر  
في سبيل الله ، ويستهن بالمخاطر في سبيله ، فحينما تهيأ المسلمون لغزوة  
مؤته ، بلغ الناس أن هرقل قد نزل مايب من أرض البلقاء في مائه الف من

(١) المصدر السابق .

الروم ومثلهم من المستعربين فلما علم ذلك المسلمون أقاموا على معان  
ليلتين يفكرون في أمرهم ، وقالوا نكتب الى رسول الله ﷺ فاما أن  
يعدنا بالرجال ، واما أن يأمرنا بأمره فنمضي له ، فما كان من عبد الله بن  
رواحه الشاعر الفارسي الا أن تقدم المقاتلين وحرصهم على خوض  
المعركة وقال قولته المشهورة : « يا قوم والله ان التي تكرهون للتي  
خرجتم تطلبون : الشهادة ، ونحن لا نقائل الناس بعدد ولا قوة  
ولا كثرة ، ولا نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا  
فانما هي إحدى الحسينين : اما ظهور ، واما شهادة ، فقال الناس ، قد  
والله صدق ابن رواحة فمضى الناس حتى اذا كانوا بقرية مشارف دنا  
العدو منهم ، وانحاز المسلمون الى مؤنثه ثم بدأ القتال فهجم زيد بن حارثة  
فقتل ، ثم اقتحم جعفر الروم فقتل ، فلما قتل جعفر دعا الناس عبد الله  
ابن رواحة وهو في جانب العسكر فتقدم فقال وهو يخاطب نفسه :

يا نفس الا تقتلى تموتى هذا خياض الموت قد صليت  
وما تمنيت فقتل لقيت ان تفعلنى فعلهمنا هديت  
وان تأخرت فقد شقيت

ويعنى بقوله : « فعلهما » زيدا وجعفرأ ثم قال يا نفس الى أى  
شئ تتوقين ؟ الى امرأتى فهى طالق ، الى غلمانى فهم أحرار ، الى  
صحن حائط ؟ فهو لله ورسوله ثم أخذ اللواء واستقبل فقاتل برهة ثم  
عاد - وأخذ يؤنب نفسه على ترده كل التائب - يلوم نفسه على  
لحظة صغيرة تردد فيها فعاد يقول مخاطبا نفسه :

ما لى أراك تكرهين الجنة أقسم بالله تتزولن  
بطائفة أولا : لتكرهنسيه فطيسا لما قد كنت مطمئنة  
فلأنت الا نطفه فى شئنه قد أجلب الناس وشدوا الزنة  
فلما نزل للقتال طعن ، فاستقبل الدم بيده ، فذلك به وجهه ثم  
نسر بين الصفيين حتى قتل .

واجتمع المهاجرون والأنصار ، فقال رسول الله ﷺ : « أخذ زيد  
ابن حارثة الراية فقاتل حتى قتل شهيدا ثم أخذها جعفر بن أبى طالب

فقاتل حتى قتل شهيدا « ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه  
الانصار وظنوا ان كان في عبد الله بن رواحة ما يكرهون فقال ﷺ :  
« ثم اخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيدا ثم لقد رفعوا الى  
الجنة على أسرة من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا  
عن سريري صاحبيه فقلت عم هذا؟ فقيل لي مضيا، وتردد عبد الله بعض  
التردد !

وأيا ما كان الأمر فلن يفسر عبد الله بن رواحة لحظة تردد اذا  
ما نظرنا الى جهاده العظيم وتفانيه في سبيل رفعة الدين وغروسيته  
المشهوده في الحروب وأن رسول الله ﷺ كان اذا أراد أن يختار بعض  
القادة والفرسان لمهمة صعبة اختار عبد الله بن رواحة فلقد بعته ﷺ في  
ثلاثين راكبا الى أسير بن قرام اليهودي بخيبر فقتله وبعته بعد فتح  
خيبر فخرص عليهم يقول أبو الدرداء شاهدا على جرأته وشجاعته  
« أعوذ بالله أن يأتى على يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة كان اذا  
لقينى مقبلا ضرينى بين ثديي واذا لقينى مدبرا ضرب بين كتفي !!!

ثم يقول يا عويمر هذه مجالس الايمان فلقد كان ابن رواحة صادق  
الايمان قوى اليقين يذكر الله في كل لحظة ووقت وقد سألوا الصحابة  
زوجه عن حاله فقالت : كان اذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين ،  
واذا دخل صلى ركعتين لا يترك ذلك أبدا - ولعل ابن رواحة شعر يوما  
بالتقصير في جانب الله ، أو لعله ذكر هذه اللحظات التي تردد فيها  
فاستدرك على ذلك قائلا :

لكننى اسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فسرع تغذف الزبدا  
أو طعنة يسدى حران مجهزة بهربة تنفذ الاحتشاء والكبدا  
حتى يقولوا اذا مروا على جدنى أرشده الله من غاز وقد رشدا  
ثم أتى الرسول ﷺ فودعه قائلا : -

أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدر  
فثبت الله ما آتاك من حصن في المرسلين ونصرا كالذى نصروا  
انى تفرست فيك الخير نافلة فراسة خالفت فيك الذى نظروا  
يرحم الله ابن رواحة « لما قال الرسول الكريم فيه « يرحم الله

ابن رواحة انه كان يحب مجالس الذكر .



### القمعاق بن عمرو ٤٠ هـ ٦٦٠ م

القمعاق بن عمرو التميمي أخو عاصم كان من الشجعان الفرسان قيل ان أبا بكر الصديق كان يقول لصوت القمعاق في الجيش خير من ألف رجل وله في قتال الفرس بالفارسية وغيرها بلاء عظيم وقال القمعاق قال لي رسول الله ﷺ ما أعددت لجهاد قلت طاعة الله ورسوله والخيل قال : « تلك الغاية » وأنشد سيف للقمعاق :

ولقد شهدت البرق برق تهامة يهدى الأنعام لسنة المختار  
في جند سيف الله سيف محمد والسبابقين لسنة الأحرار  
قالوا كتب عمر الى سعد أي فارس كان أفرس في  
القادسية قال فكتب اليه اني لم أر مثل القمعاق بن عمرو حمل في يوم  
ثلاثين حملة يقتل في كل حملة بطلا وكان له صحبة بالرسول ﷺ وهو  
يعد أحد فرسان العرب وشعرائهم وشهد فتح العراق ودمشق وله في  
ذلك أشعار مشهورة موفقة يقول :

يدعون قمعاقا لكل كريهة فيجيب قمعاق دعاء الهاتف<sup>(١)</sup>

كما شهد اليرموك ، وأدرك وقعة صفين فحضرها مع علي وكان  
يتقلد في أوقات الزينة سيف هرقل ملك الروم ويلبس درع بهرام ملك  
الفرس وهما مما أصابه من الفنائم في حروب فارس ، ولقد كان القمعاق  
جنديا من أخصم قدمه الى قمة رأسه كرس حياته للجنديّة والدفاع  
عن الاسلام وشعره الذي بين أيدينا يتسم بالروح الحربية شعر حربي  
يقول في يوم أغوات من أيام القادسية :

ولم تعرف القليل العرب سوانا عشية أغواتي بجنب القوادس<sup>(٢)</sup>  
عشية رحنا بالرماح كأنهسا على القوم ألوان الطيور الرسادس  
وكان يرتجز في القادسية :

أزعجهم عمدا بهسا ازعاجا أظمن ظمنا مسائبا ثجاجا<sup>(٣)</sup>  
أرجو به من جنة أفواجا

(١) الامصياة في أخبار المنحابة ج ٢ ص ٢٢ دار الكتاب العربي بيروت .

(٢) الخيل العرب : الخيل الاصيل لا شائبة بنصبها .

(٣) ثجاجا : متدفقا .

وقد حمل في يوم أغوات ثلاثين حملة كلما حمل قتل فيها رجلا من  
الفرس ، وكان آخر من قتل ( بزر جمهر الهمذاني ) وفي ذلك يقول :  
جيسوته جياشنة بالنفس      هدارة مثل شعاع الشمس  
في يوم أغوات ، قليس الفرس      أتجس بالقوم أشد النخس  
حتى تفيض معشرى ونفسى<sup>(١)</sup>

وقال في يوم دمشق :

أقمنا على دار هنالك أشهراً      فدان لنا مستسلما كل قائم  
قصصنا الى الباب العراقي أشهراً      أقيموا لهم حر الدوى بالغلاصم  
أقول وقد دارت رحانا بدارهم      وتدمر عضوا منهما بالأباهم<sup>(٢)</sup>  
فلما زأدنا في دمشق نحورهم

وقال في يوم اليرموك :

الم ترنا على اليرموك فزنا      محرمة الجناب لدى التلاقى  
فتحنا قبلها بصرى وكانت      ومرج الصغرين على العتاق  
وعذراء المدائن قد فتحنا

وقال في يوم فحل<sup>(٣)</sup> :

كم من أب لى قد ورثت فعالة      جم الكارم بحره نيار<sup>(٤)</sup>  
ورث الكارم عن أبيه وجده      فبنى بناءهم له استقصار  
فبنيت مجدهم وما هدمته      وبنى بعدى أن بقوا عمار  
مازال منا في الصروب مروس      ملك يغير وخلفه جرار<sup>(٥)</sup>  
يطل اللقاء اذا الثغور توكلت      عند الثغور مجرد مظفار<sup>(٦)</sup>  
وغداة فصل قد رأوني معلما      والخيول تصل والبلا أطوار<sup>(٧)</sup>

(١) الطبرى ٣ - ٥٥ .

(٢) أى يعضون إبهامهم من الندم .

(٣) انظر تهذيب ابن عساكر ١٤٤/١ : ١٤٥ .

(٤) جم كثير : نيار : مترفق .

(٥) مروس أى رئيس وجرار أى جيش جرار .

(٦) معلما : شجاعا ، أطوار : متتابعة انظر متادة فتح العراق

والجزيرة ، محمود شيت خطاب دار الفكر بيروت .

اعرب ما حسم خط سبيلنا  
 «ناختي حكم كما به ما جوارنا وشروطنا مع العسكر (نص)  
 ما نذكر الى ان يقول :

ما زالت الخيل العرب تدوسهم  
 حتى رميت سراتهم عن أسرهم  
 ولقد أبرنا في الرداع جموعهم  
 وكان أول صوت سمعه سعد بن أبي وقاص ليلة الهير في النصف  
 الأخير من الليل مما يستدل به على الفتح صوت القعقاع يهدير :  
 نحن قتلنا معثرا وزائدا  
 نحسب فوق اللبد الأساودا  
 حتى اذا ماتوا دعوت جاهدنا  
 الله ربى واحترزت عامدا

هذا بعض شعره الذي قاله في القادسية ، ولا بد أن يكون له شعر  
 في معاركه الأخرى ، وعلى كل فلهذه النماذج تدل دلالة واضحة على  
 تمتع القعقاع بسليقة شعرية أصيلة . رحمه الله وأجل له العطاء .

(١) ردغة : الماء والطين والوصل الشديد ، وما بعدها استقبار !  
 أى ما بعدها بقضاء ،

### سراقة ذو النور بن عمرو فاتح الأبواب<sup>(١)</sup>

توفي ٢٢ هـ ٦٤٢ م

كان سراقة بن عمرو بن لبنة صحابيا جليلا ، ذكروه في الصحابة ولم ينسبوه وكان يدعى ذا النور<sup>(٢)</sup> ولكننا لا نعرف بالضبط متى أسلم ولا الغزوات التي شهداها مع رسول الله ﷺ ، والظاهر أنه أسلم متأخرا أو كان صغيرا في عهد النبي ﷺ ، فنال شرف الصحبة ، ولم ينل شرف الجهاد تحت راية الرسول القائد .

#### جهاده :

عرف عمر بن الخطاب لسراقة فضله العظيم في الجهاد غولاء البصرة ، ولكنه رد أبا موسى الأشعري إلى البصرة ، ورد سراقة إلى الباب ، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وكان يدعى ذا النور أيضا ، ولما تغلغل طلائع المسلمين كاتبه ملكها واستأمنه على أن يأتيه ، فأمنه عبد الرحمن فلما لقيه قال له : « اني بازاء عدو وأمم مختلفة ليست لهم أحساب وليس لذي الحصب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوى الأحساب والأصول ، وذو الحصب قريب ذى الحصب حيث كان ولست أنا من ( القبيح ) ولا من الأرض في شيء وانكم قد غلبتم على بلادى وأمتى فأنا منكم ، ويدي مع أيديكم ، وجزييتي اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون ، فلا تذولونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم » فأجابه عبد الرحمن « فوقى رجل قد أظلك فسر إليه » ثم سهره إلى سراقة فلقية بمثل هذا الكلام ، فقبل منه سراقة وقال له : « لا بد من الجزية ممن يقيم ويحارب العدو » أي انه وافق على وضع الجزية عن الذين يقاتلون العدو وجنبا لجنب مع المسلمين وأمر على أخذها من القاعدين من أهل البلاد . وكتب سراقة إلى عمر بذلك ، فأجازه وحسنه وهكذا صالح أهل أرمينية والأمن ،

(١) باب الأبواب : ويقال لها البشائب أيضا : مفساء كبير على بحر ( الخزرج جنوب ) يؤسسا انتظار معجم البلدان ٩/٢ وآثار البلاد وأخبار أعيانها من ( ٥٠٦ ) والمسالك والممالك ( ١٠٩ - ١١٠ ) :  
(٢) ابن الأثير ٧/٢ .

ومات سراقه في ( باب الأيوأب ) قبل أن يرى ثمره جهاده كامله  
فاستخلف قبل موته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي .

قال سراقه بن عمرو يصف فتح ( باب الأيوأب ) (١) :

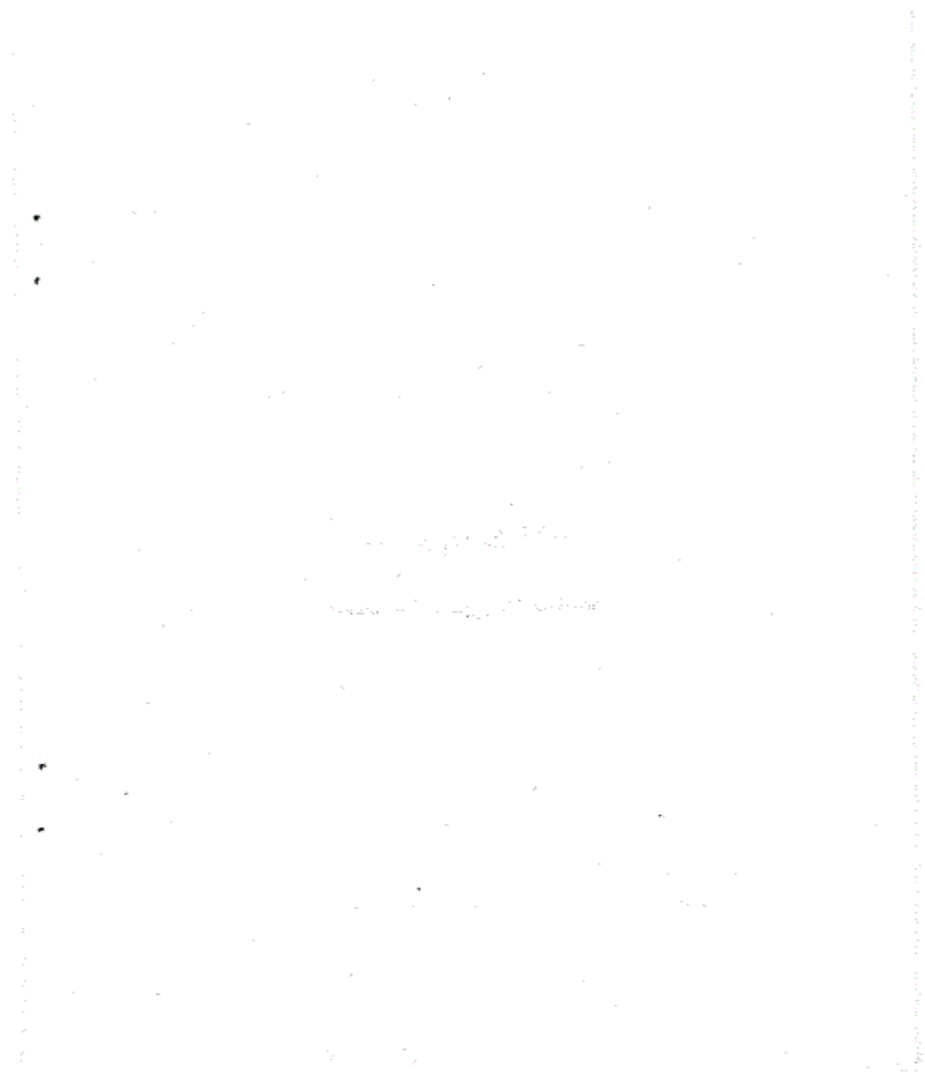
ومن يك سـائـلا عنى فانى      بأرض لا يؤاتيهـا .. القرار  
ببواب الترك ذى الأيوأب دار      لها فى كل ناحيـة .. مغار  
نذود جموعهم عما حويـنا      ونقتـلهم اذا باح السرار (٢)  
سددنا كل فرج كان فيها      مكابرة اذا سطع الغيار  
والحمنا الجبال جبال قبج      نناهـهم . وقد طار الشرار  
على خيل تمادى كل يوم      عتـادا ليس يتبعها المهار  
وهو شعر سلس يصور المعركة تصويرا رائعا حتى تكاد تلمس فيه  
جو المعركة الصاخب ، غبارا ثائرا ، وخيلا تكرر وتقر وقتلى تنهاوى ،  
ولم ينسه تدابير المسلمين الدفاعية عن منطقة ( باب الأيوأب ) مراقبة  
الطرق التقريبية اليها ليلا ونهارا وسد منافذ الجبال لقد كان سراقه  
من الشعراء الفرسان المجيدين الذين تشرفوا بصحبة النبى ﷺ ونالوا  
شرف الدفاع عنه رحمه الله .

(١) انظر معجم البلدان ( ١٢/٢ ) :

(٢) السرار : سرر الشمس يفتحان آخر ليلة منه وكذا  
( سراره ) يفتح السنين وكسرها وهو مشتق من قولهم : استسر الغير أى  
خفى ليلة وربما كان ليلتين : واذا باح السرار : اذا بزغ القمر وانكشف  
معاظه .

## الفصل الثاني

### شعراء الفتوح الاسلامية



### المثنى بن حارثة الشيباني

المثنى من أصل شيباني ، وبنو شيبان هم من الشجرة العدنانية و فرع من قبيلة ( بكر بن وائل ) وقد كان بنو شيبان من هامات ربيعة في الجاهلية وهم أبطال معركة ( ذي قار ) وقد امتد بهم المجد في الاسلام فكان منهم بيوتات سجل لها التاريخ صفحات خالدة .

وتكرر أمثال يوم ( ذي قار ) بعد الاسلام بين الفرس وبنو شيبان خاصة ، وبين الفرس وقبائل بني بكر عامة ، فكان بنو شيبان طلائع الفتح الاسلامي في العراق - وكان المثنى بن حارثة الشيباني الذي كان من أشرف شيبان أول قائد عربي تجسراً على مهاجمة الامبراطورية الساسانية في عقر دارها ، وقد قيل ليس في العرب أعز من شيبان داراً ، ولا أكثر حليفاً .

### اسلامه :

وقد وفد المثنى بن حارثة على النبي ﷺ سنة تسع وقد مع قومه فأسلم<sup>(١)</sup> ولقد نال المثنى شرف الصبغة ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإن كان لا ينكر جهاده في موطن شتى شهدت له بالفروسية والشجاعة النادرة ، ففي حروب الردة كان المثنى على رأس الذين أعانوا العلاء ابن الحضرمي في مهمته الشاقة اذ ضيق الخناق على المرتدين في منطقة ( البحرين ) وأخذ الطريق عليهم ولم يكتف بذلك ، بل تابع السير شمالاً على شاطئ الخليج العربي ليقاوم دسائس الفرس الذين شجعوا المسلمين في منطقة الخليج العربي على الردة ، ويقضي على

(١) ص ٢٩ قادة العراق والجزيرة . محمود شيت .  
واتظر أسد الغابة ٩٩/٤ والاصابة ٤١/٦ .



أنصارهم من القبائل ومن الأبناء ( والأبناء قوم من العجم اختلطوا  
بالعرب بالمصاهرة وسكنوا البلاد العربية ) .

وكان المثنى شجاعاً مقداماً ، شهماً غيوراً ، مأمون النقيصة  
حسن الرأي ، راسخ العقيدة ، قوى الإيمان ، شديد الثقة بنفسه  
بعيد النظر ، يؤثر المصلحة العامة على مصلحته الشخصية ، يعترف  
بخطئه عند الحاجة بكل صراحة ولا يصبر عليه ، وكان يشارك أصحابه  
في السراء والضراء والشدة والرخاء ، ضرب المثل الأعلى للإنسان  
الكامل في صفاته الانسانية ومزاياه — يذكر لنا التاريخ للمثنى جهاده  
مع العلاء بن الحضرمي للمرتدين مما أدى الى إعادة سيطرة المسلمين  
على منطقة البحرين ، كما يذكر أنه أول مسلم هاجم الامبراطورية  
الفارسية في عقر دارها فحمل عن المسلمين عبثاً لم يحمله غيره ، فهو  
الذي جرد العرب على محاربة الفرس وهو الذي رفع معنويات العرب ،  
وحطم معنويات الفرس ، فكانت أعماله العسكرية في العراق مقدمة  
لغتيه فيما بعد ، وكانت معركة ( البويب ) تمهيداً لمعركة ( القادسية )  
وايذاناً بانتهاء الامبراطورية الفارسية ، وانتشار الاسلام في ربوع  
بلادها ، واخيراً جاد بروحه في سبيل عقيدته ، فمات شهيداً متأثراً  
بجروحه التي أصيب بها في معركة ( الجسر ) التي لولا قيادة المثنى في  
أعقابها لكان مصير المقاتلين فيها من المسلمين الى الفناء .

ان المثنى كان نمطاً فريداً بين القادة في كل أدوار التاريخ فهو بحق  
مفخرة من أكبر مفاخر العرب والمسلمين في كل مكان ، وفي كل زمان .  
رضي الله عن بطل الأبطال ، ورجل الرجال ، القائد الانسان المثنى بن  
حارثة الشيباني .

وكما كان فارساً كان شاعراً مطبوعاً . طالما تغنى بالأمجاد الاسلامية  
وأشرب شعره بروح الجهاد والفداء — وهذه نماذج من أشعار المثنى  
التي يتغنى فيها بفتوحاته ، وهي تدل على أن المثنى كرس كل شيء في  
حياته حتى شعره — للجهاد فهو بحق فارس الشعراء ، وشاعر  
الفرسان ولعل الكثير من شعره قد ضاع ، فلم يصل إلينا الا جزء من  
أشعاره قال يذكر معركة النمارق :

غلبنا على خفان بيذا مشيخة  
 وأنا نرجو أن تجول خيولنا  
 وقال يذكر يوم الخنافس :  
 صبحنا بالخنافس جمع بكر  
 بفتيان الوغى من كل حي  
 نسفنا جمعهم والخيسل رود  
 ولملك تلمس معى في هذا الشعر ، آمال القائد المنتصر في انتصار  
 جديد ، وتلمس فيه صولة الفرسان الشجعان الذين لا مثيل لهم في كل  
 جيل ، حتى أصبحت خيولهم — وقد قطعت مسافات شاسعة وهي  
 تحمل الفاتحين — لا تقوى على السير الا بصعوبة .  
 انها صورة شعرية رائعة ، لا يقوى على الاتيان بمثلها الا شاعر  
 أصيل (٣) .

(١) غير ميل : أى غير مائلين عن السروج ، ورود : بوزن عود : أى  
 على مهل وتصغيره رويد : أى أن الخيل من التعب الشديد تسير على مهل .  
 (٢) قادة فتح العراق والجزيرة — محمود شيت خطاب ص ٤٦ —  
 ٤٧ — ٤٩ .  
 (٣) الاصابة ٨٥/٣ .

### سعد بن أبي وقاص / فاتح العراق والجزيرة

هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري ، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان ابن حرب بن أمية ، وفي ( كلاب ) يجتمع نسب الرسول ﷺ بنسب سعد ، كما أن أمية بنت وهب أم النبي ﷺ من بني زهرة ، لذلك كان سعدا هو خال النبي ﷺ ، وبني زهرة أخواله ولذا افتخر به النبي ﷺ حيث قال في سعد « هذا خالي غليرني امرؤ خاله » .

كان قائدا ذا عقيدة راسخة ، جاهد لحماية حرية انتشار الاسلام في شبه الجزيرة العربية ، وجاهد في الفتح الاسلامي خارج شبه الجزيرة العربية وقد نسي الناس كثيرا من قادة الفتح الاسلامي ، وحتى التاريخ نسي كثيرا منهم أيضا ، ولكن سعدا كان من بين القادة الذين يذكروهم الناس دوما ولا ينسونهم أبدا كما انه شرف بأعماله الخالدة صفحات التاريخ فاسمه نابه في كل مصادر التاريخ وعلى كل لسان — لقد فتح سعد العراق وأكثر بلاد فارس وأذربيجان و ( الجزيرة ) وبعض ( ارمينية ) ولم تقتصر أمجاد سعد على هذه الفتوحات فحسب ، بل له أمجاد كثيرة هي أهم من فتوحاته هذه يتميز بها على غيره من الفاتحين ، فقد أسلم سعد قبل أن تفرض الصلوات<sup>(١)</sup> ، فهو من المسلمين الأولين السابقين الى الاسلام ، وهو الذي أراق أول دم دفاعا عن الاسلام ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو أحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم الثوري وهو الذي كوف الكوفة فأصبحت القاعدة الأمامية للفتح الاسلامي في الشرق كله وأمدت العالم الاسلامي بعدد ضخم من القادة الفاتحين وأولى الرأي والفكر والأدب فكانت هذه المدينة أعظم قواعد الفتح الاسلامي ، واغزر مصادر الثقافة العربية .

(١) طبقات ابن سعد ٢/٣٩ .

(٢) معجم البلدان ٨/٣١٦ وفي الإصابة ٦/٢٧٧ ان الذي قال هذا الشعر هو بذعور بن عدى المعجلي .

ولقد كان مع هذا شاعرا يتغنّى بفروسيته في المواطن التي شهدها  
وفي المصادر التي بين أيدينا بعض الشعر الذي ينسب إليه مما يدل على  
تمتعه بسليقة شعرية ففي سرية عبيد بن الحارث التي بعثها النبي ﷺ  
في شوال من السنة الأولى الهجرية ، رمى سعد أول سهم في الاسلام  
وفي ذلك يقول :

ألا أبـلـغ رسـول الله أنـى حميت صحابتي بصدور نبلي  
أذود بها عدوهم ذيابا بكل حزنه وبكل سهل<sup>(١)</sup>  
فما يعتد رام من معد بسهم يا رسول قبلي  
ويضيف ابن هشام في كتابه سيرة النبي ﷺ هذه الأبيات  
الثلاثة :

وذلك أن دينك دين صدق وذو حق أتيت به وعدل  
ينجي المؤمنون به ويخزي به الكفار عند مقام مهل  
فمهللا قد غويت فلا تعبني غوى الحى ويحك يابن جهل  
وفي معركة القادسية كان سعد مريضا فقال جرير بن عبد الله  
البجلي :

أنا جرير كنتي أبو عمرو قد نصر الله وسعد في القصر  
فلما بلغ سعدا خرج الى الناس فاعتذر اليهم ، وأراهم ما به من  
القرح في فخذه واليتية وفي ذلك يقول سعد :

وفوق ذلك يذكر التاريخ له أنه جاهد بنفسه وماله في عهد النبي  
ﷺ مدافعا عن العقيدة الاسلامية، ويؤد عن الاسلام الحنيف، فقد شهد  
المشاهد كلها مع الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام . وكان  
له فيها أثر شخصي ملموس ، كما أنه أوصى ش بثلاث ماله لخدمة الدعوة  
الاسلامية ، وبذلك استحق سعد أن يفاخر به النبي الأعظم عليه الصلاة  
والسلام ويقول له : « أنت خالي » ويفديه بأبيه وأمه يوم أحد ويدعو  
له قائلا : « اللهم أجب دعوته وسدد رميته » فكان سعد مجاب الدعوة  
مشهورا بذلك تخاف دعوته وترجى ولا يشك في اجابتها . ولا ننسى  
الفتوحات التي حققها ذلك الفارس العظيم سعد بن أبي وقاص يقول :  
وما أرجو ( بجيلة ) غير أنى أو مل أجرحهم يوم الحساب

فقد لقيت خيولهم خيولا      وقد وقع الفوارس في ضراب  
وقد دلفت بعرضتهم فيول      كان زهاء ما ابل جراب  
ويلاحظ أن البيت الأخير فيه اقواء .

وعندما اعتزل سعد الفتنة الكبرى ، طمع فيه معاوية بن أبي  
سفيان ، فكتب اليه يدعوه أن يعينه على الطلب بدم عثمان يقول سعد :  
معاوى داؤك الداء العياء      وليس لما تجيء به .. دواء  
أيدعوني أبو حسن على      فلم أردد عليه ما يشاء  
وقلت له : اعطني سيفاً بصيراً      تميز به المداوة والولاء  
فان الشر أصغره كبير      وان الظهر تثقله - الدماء  
أتطمع في الذي أعيأ عليا      على ما قد طمعت به العفاء  
ليوم منه خير منك حبا      وميتا أنت للمرء الفداء  
فاما أمر عثمان فدعه      فان الرأي أذهب به البلاء  
والظاهر أنه كان لا يقول الشعر الا عندما يستثار ، فلا يجد غير  
الشعر وسيلة يعبر بها عما يخالج نفسه من أحاسيس وأفكار .  
وعلى كل حال فهو شاعر مقل له موهبة شعرية لا ترقى الى درجة  
المجيدين<sup>(١)</sup> .

(١) ص ٢٨٨ قادة فتح العراق والجزيرة ٢٨٨ دار الفكر بيروت .

### هاشم بن أبى وقاص الزهرى فاتح محور دىالى من المدائن الى جلولا

هو أبو عمرو هاشم بن عتبة بن أبى وقاص من بنى ( زهرة )  
وهو ابن أخ سعد بن أبى وقاص فاتح العراق ، وقد أسلم هاشم يوم  
الفتح فهو من الطلقاء ، وشهد غزوة ( حنين ) مع الذين أسلموا من  
قريش يوم فتح مكة ، وبذلك نال هاشم شرف الصحبة وشرف الجهاد  
تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام .

قاتل هاشم المرتدين تحت لواء خالد ويذكر التاريخ لهاشم بأنه  
قضى على مقاومات الفرس على محور المدائن — جلولا — خانقين —  
قصر شيرين — وهو المحور الرئيسى لانسحاب القوات الفارسية من  
المدائن باتجاه فارس الذى تتيسر فيه مواضع دفاعية متعاقبة تسهل  
مهمة الدفاع عنه ، مما يجعلنا نلمس أهمية قيادة هاشم ومقدار خدمته  
للفتح الاسلامى، ويذكر التاريخ له أثره الشخصى البارز فى انتصار المسلمين  
على الروم فى معركة اليرموك الحاسمة وعلى الفرس فى معركة القادسية  
الفاصلة ، ولا يزال المؤرخون يتساءلون حتى اليوم ، ترى ! لو لم  
تصل قوات هاشم الى ساحة معركة القادسية فى الوقت المناسب ،  
فماذا كان يحدث للمسلمين فى تلك المعركة ؟ ؟

ويتميز هاشم بشاعرية مطبوعة تلمس فيها اخلاصه الشديد  
لعميقته فى كل حياته وتروى بعض المصادر التى بين أيدينا بعض  
الشعر لهاشم ، ومنه ما قاله لما جاء نبأ مقتل عثمان الى أهل الكوفة<sup>(١)</sup> :  
أبايع غير مكثرت عليا ولا أخشى أميرا أشعريا<sup>(٢)</sup>  
أبايعه وأعلم أن سأرضى بذاك الله حقا والنبيا  
وقال وهو يقاتل فى معركة صفين :

(١) الاصابة ( ٢٧٥/٦ ) .

(٢) يقصد ابا موسى الاشعري والى الكوفة .

أعور يبنى أهله محبلا      قد عالج الحياة حتى ملا  
لا بد أن يفل أو يفلأ      يتلهم بذى الكموب تلا  
وقطعت رجلي يومئذ ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول :  
الفحل يحمى شؤله معقولا

وعلى الرغم من صعوبة الحكم على شاعرية هاشم من هذه  
الآبيات القليلة ، إلا أنه يمكن القول ، بأنه كان شاعرا له قريحة شعرية  
لا بأس بها — لم تبلغ بشعره منزلة عالية تجعله بين الشعراء  
المجيدين !

### عمر بن مالك الزهري

#### ( فاتح محور الفرات من الرمادي حتى ملتقى الخابور بالفرات )

أسلم عمر بن مالك بن عقبة بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشي يوم فتح مكة المكرمة ، وعمر هذا هو ابن عم والد سعد ابن أبي وقاص الزهري ، ويذكر التاريخ أنه صمد مع الصامدين دفاعاً عن دينه في حروب الردة ، وكان أحد الفاتحين المجاهدين الذين سجلوا فتوحات خلدتهم على مر الأيام ، ما بقي التاريخ وما بقي العرب والمسلمون في المنطقة الواقعة بين الرمادي حتى ملتقى خابور الفرات بنهر الفرات ، وما أعظمها من فتوحات ، وما أخلد فاتحها في التاريخ ! !

ان من حق هذا القائد العظيم أن يعرفه العرب والمسلمون في كل ديار العروبة والاسلام بخاصة سكان المنطقة الشاسعة التي فتحها وان يذكروه كلما تكلم الناس بالعربية في هذه المنطقة وكلما علا صوت المؤذن من فوق منائرها : الله اكبر .

وكان يتمتع هاشم بموهبة شعرية ويدل شعره الذي وصل الينا ، انه كان شاعر الفرسان ويقتصر شعره على وصف المعارك ومن شعره ما قاله في فتح قرقيسيا<sup>(١)</sup> :

ونحن جمعنا جمعهم في حقيرهم      بعيت ولم نحفل لأهل الحفائر<sup>(٢)</sup>  
وسرنا على عمد نريد مدينة      بقرقيسيا سير الكماة المساعر<sup>(٣)</sup>  
فجئناهم في دارهم بغتة ضحى      فطاروا وخلوا أهل تلك المحاجر  
ندين بدين الجزية المتواتر ففسادوا الينا من بعيد بأننا

(١) معجم البلدان ٥٩/٧ .

(٢) الحفائر : جمع حفرة . وهنا معناها الخندق اي اننا لم نكثر لخنادقهم .

(٣) الكماة : جمع كمن وهو الشجاع ، المساعر : جمع مسعر لقول مسعر النار والحرب اي هيجها والهبأ .



قبلنا ولم نردد عليهم جزاءهم وخطناهم بعد الجزا بالبواتر<sup>(١)</sup>  
هذا مثال من شعر عمر يدل بوضوح على انه سخر حتى شعره  
لخدمة الفتح الاسلامي واثارة روح القتال في المسلمين ويدل على أنه  
لم يكن شاعرا محترفا يمدح ويقدم حسب الظروف والأحوال<sup>(٢)</sup> .

---

(١) الوخط : يقال وخطه الشيب أي خالطه أو فشا شيبه أو استوى  
سواده وبياضه وهو أيضا الطعن الخفيف أو النافذ ، انظر القاموس ٢/٣٩٠  
(٢) راجع معجم البلدان ٨/٤٨٧ في مادة ( هيت ) تجد اشمارا  
أخرى »

#### الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي

##### فاتح منطقة عرب الجزيرة وفاتح أذربيجان وبعض أرمينية

هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف القرشي الأموي ، ويكنى أبا وهب وهو أخو عثمان بن عفان لأمه ، أمهما أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن شمس بن عبد مناف .

كان الوليد ولا يزال من الشخصيات التي تعاني من اغراط الصديق في المدح وتفريط العدو في القدح ، ان التاريخ يذكر أن الوليد كان شريب خمر وأنه عزل عن الكوفة كذلك ، ولست أشك أنه تاب عن الخمر وحسن إسلامه بعد أيام شجاعه ، لذلك كان من القلائل جدا من بنى أمية الذين اعتزلوا معاوية في حربه مع علي بن أبي طالب ، اذ أثر دينه على دنياه — ويذكر له التاريخ أنه كان من أوائل من عالج مشكلة الاماء والعبيد بصورة عملية فممنحهم المخصصات المالية المناسبة شهر يامن بيت المال ويذكر له أيضا انه فتح منطقة عرب الجزيرة واستعاد فتح أذربيجان وأرمينية ثانية الى بلاد المسلمين وفي قيادة الوليد يقول الحطيفة :

أرى لابن أروى خلتيْنِ اصطفاهما	فتسال اذا يلقي العدو ، ونائله
فتي يملأ الشيزي ويروى بكفه	سنان الرديني الأسم وعامله
يؤم العدو حيث كان بجحفل	يضم السميع جرسه وصواوله
اذا حان منه منزل الليل أوقدت	لأخراه في أعلى اليفاع أوائله <sup>(١)</sup>

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

### عاصم بن عمرو التميمي فاتح سجستان<sup>(١)</sup>

أسلم عاصم بن عمرو التميمي في السنة التاسعة للهجرة مع قومه بنى تميم<sup>(٢)</sup> ، فكان إسلامه بعد غزوة (تبوك) آخر غزوة قادها الرسول القائد بنفسه ، فقد نال عاصم شرف الصحبة<sup>(٣)</sup> إذ كانوا لا يولون القيادة إلا للصحابة<sup>(٤)</sup> ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء النبي ﷺ .

وقد قاتل عاصم تحت لواء خالد بن الوليد في حروب أهل الردة ، فأبلى فيها بلاء حسنا استحق من أجله تقدير خالد ، فوجهه أمام قواته على رأس قوة من المسلمين إلى العراق - كما سرح غيره من القادة ، وقاتل عاصم أيضا بقيادة خالد في العراق ، فقتل في معركة (الذار)<sup>(٥)</sup> أحد قادة الفرس البارزين ، وبعد فتح الحيرة قاتل عاصم مع خالد في معركة الأنبار<sup>(٦)</sup> وعين التمر<sup>(٧)</sup> ودومة الجندل<sup>(٨)</sup> وفي هذه المعركة بعث خالد عاصما على رأس مفرزة من الفرسان لأسر أكيدر بن عبد الملك أحد أمراء دومة الجندل البارزين ، فنجح عاصم في أسره وسلمه إلى خالد فقتله<sup>(٩)</sup> جزاء غدره بالمسلمين .

وكان عاصم أحد الشعراء الفرسان قضى عمره في ساحات القتال<sup>(١٠)</sup>

(١) راجع معجم البلدان ٣٧/٥ والمسالك والممالك للأصطخرى ص ١٢٨ ، وأثر البلاد وأخبار العباد للقزويني ٢٢٦ الطبري ٣٧٧/٢ .

(٢) الإصابة ٦/٤ والاستيعاب ٧٨٤/٢ .

(٣) الإصابة ١٩٤/٢/٣٠٩/١ .

(٤) الطبري ٥٥٤/٢ .

(٥) المذار : في ميسان بين واسط والبصرة ، وهي قصبة - ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام راجع التفاصيل في معجم البلدان ٤٣٣/٧ .

(٦) الطبري ٥٥٧/٢ .

(٧) الأنبار هي مدينة الفالوجة - الحالية - واقعة غرب بغداد على الفرات .

(٨) بلدة قريبة من الأنبار .

(٩) حصن على سبعة مراحل من دمشق يقع بين دمشق والمدينة .

(١٠) الطبري ٥٧٨/٢ .

وكان شعره معبرا عن أحاسيسه فارسا مجاهدا . قال يصف فتح الحيرة<sup>(١٣)</sup>  
صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ورجلا فوق اثباح الركاب  
حضرنا في نواحيها . قصورا مشرفة كأضراس الكلاب  
وقال يصف مطاردته للفرس بعد معركة النمارق<sup>(١٤)</sup> :

لعمري وما عمري على بهين لقد صبحت بالخزي أهل النمارق  
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم يجوسونهم ما بين درتا وبارق<sup>(١٥)</sup>  
قتلناهم ما بين مرج مسلح وبين الهوافي من طريق البذارق  
وقدم الدهاقين<sup>(١٦)</sup> إلى أبي عبيدة آنية فيها أطعمة فارسية فلم يأكل  
منها شيئا حتى علم أنهم قربوا لأصحابه فقال عاصم<sup>(١٧)</sup> :

صبحنا باليقابس رهط كسرى صبوحا<sup>(١٨)</sup> ليس من خمر السواد  
صبحناهم بكل فتى — كمي وأجرد سابح من خيل . عاد  
فهم يفخرون بأطعمتهم الشهية ، والعربي يفخر بالأبطال من الفرسان  
وفي اليوم الأول من أيام القادسية خرج عاصم مرتجزا بقوله :

قد علمت بيضاء صفراء اللبب مثل اللجين قد تنشأ الذهب  
اني امرؤ لا من يعنيه السبب مثلى على مثلك يغريه العتب  
وقال يصف كيف أجاز المسلمون أمان عبد من عبيدهم لأهل  
(جند نيسابور)<sup>(١٩)</sup> بهذه الأبيات :

لعمري لقد كانت قرابة ( مكثف ) قرابة صدق ليس فيها — تقاطع  
أجارهم من بعد ذل وقلة وخوف شديد ، والبلاد بلاقع  
فجاز جوار العبد بعد اختلافتنا ورد أمورا كان فيها — تتنازع  
إلى الركن والوالى المصيب حكومة فقال بحق ليس فيه — تخالغ  
هذه نماذج من شعره تعبر تعبيرا صادقا عن هواء العميق بالحرب  
وخلق الفروسية ، فهو كأخيه القمعاق شاعر الفرسان أو فارس  
الشعراء .

(١) النمارق : موضع قريب من الكوفة ٦٣٦/٢ .  
(٢) درتا وبارق : موضعان قريبان من النمارق الغربية من الكوفة .  
(٣) الدهاقين جمع دهقان : زعيم فلاحي العجم وزعيم الاقليم .  
(٤) الطيرى ٦٣٩/٢ . (٥) الصبوح هو الشرب بالغداة .  
(٦) جند نيسابور : مدينة بخورستان .

### ضرار بن الخطاب فاتح ما سبذان في ايران

هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي الفهري<sup>(١)</sup> كان أبوه الخطاب ابن مرداس رئيس بني فهر في زمانه ، وكان يأخذ المرباع لقومه ، وكان ضرار بن الخطاب يوم الفجار على بني محارب بن فهر وكان من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجودين ، حتى قالوا : ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم<sup>(٢)</sup> قاتل المسلمين أشد القتال<sup>(٣)</sup> قاتلهم قتالا مريرا ، ورثى قتلى قريش في بدر رثاء خارا<sup>(٤)</sup> وقتلهم يوم أحد ، فلحق عمر بن الخطاب وجعل يضربه بعرض الرمح ويقول : انج يا بن الخطاب لا تقتلك « فكان عمر بن الخطاب يعرفها له بعد اسلامه<sup>(٥)</sup> وهذا يدل على حبه لعمر بن الخطاب وتقديره له على الرغم من اختلافهما بالعقيدة ، ولولا ذلك لقتله كما قتل غيره من المسلمين ، فقد اختلف الأوس والخزرج فيمن كان أشجع يوم أحد، فمر بهم ضرار فقالوا : هذا شهدا وهو عالم بها ، فسأوه عن ذلك فقال : « لا أدري ما أوسكم من خزرركم ، ولكني زوجت منكم يوم ( أحد ) أحد عشر رجلا من الحور العين<sup>(٦)</sup> وقاتل المسلمين يوم ( الخندق ) فكان أحد الأربعة الذين وثبوا الخندق ، وكان أحد قادة قريش يوم ( الخندق ) يهاجم مواضع المسلمين بين حين وآخر ويجعل خيله فيها ، ويناوش أصحاب رسول الله ﷺ ويقدم رماته فيرمون ، قال ضرار يوما لأبي بكر الصديق : « نحن خير لقريش منكم : أدخلناهم الجنة وأنتم أدخلتموهم النار » يريد أنه قتل المسلمين فدخلوا الجنة ، وقتل المسلمون الكفار من قريش فأدخلوهم النار .

والحق أنه كان شديد العداوة للدين الحنيف ، فكان عنيفا في خصومته له ولأصحابه، ولولا أن الاسلام يجب ما قبله لكان حسابه عند الله عسيرا .

- (١) ماسبذان : عدة مدن راجع معجم البلدان ٣٦٣/٧ .  
 (٢) الاستيعاب ٧٤٨/٢ وأسد الغابة ٢٧٠/٣ .  
 (٣) الاستيعاب ٧٤٨/٢ وأسد الغابة ٤٠/٣ والمرباع الربع والمعشار : المفشر .  
 (٤) الاصلية ٢٧٠/٣ . سيرة ابن هشام ٣٧٧/٢ .  
 (٥) سيرة ابن هشام ٢٥٠/٢ .  
 (٦) أسد الغابة ٤٠/٣ والاستيعاب ٧٤٩/٢ .

#### اسلامه :

وقد اسلم ضرار يوم فتح مكة فحسن اسلامه ، فلما التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى وارتدت العرب ، ثبت ضرار وأهل مكة على الاسلام فكان أهل مكة من الدعامات القوية التي دافعت عن حياض الاسلام .

#### جهاده :

شهد ضرار يوم ( اليمامة ) تحت راية خالد بن الوليد فلما انتهت حروب الردة توجه خالد الى العراق ، وكان ضرار مع قوات خالد ، فشهد كل معارك العراق التي خاضها خالد هناك وكان هو الذي حاصر قصر الغريين في فتح الحيرة ، وتحرك ضرار مع خالد الى أرض الشام بعد نقله اليها من العراق ، فقد كان من جملة من اختاره خالد ليعاونه في مهمته الجديدة ، فشهد تحت لواء خالد كافة معاركه في طريقه من العراق الى أرض الشام ، كما شهد معه معركة اليرموك الحاسمة وشهد مع أبي عبيدة ابن الجراح فتح الشام ، وشهد القادسية ، وفي هذه المعركة غنم ضرار علم الفرس الأكبر ، فعوض منه ثلاثين ألفا ، وكانت قيمته ألف ألف ومائتي ألف - كما شهد ضرار فتح المدائن القديمة على الضفة الغربية من النهر - وحينما رأى ضرار ايوان كسرى نادى بأعلى صوته (الله أكبر هذا أبيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله ) وكبر ضرار وكبر الناس معه ، كما شهد معركة ( جلولاء ) تحت لواء هاشم بن عتبة الزهري كما فتح سهل ماسبذان وكان فتحها بعد فتح حلوان<sup>(١)</sup> .

#### الشاعر :

وكان ضرار من شعراء قريش المطبوعين المجودين ، ولم يكن في قريش أشعر منه - ويحكى أن عبد الرحمن بن عوف كان في

(١) وانظر قصة كابل في الاصلية ٢٧٠/٣ وانظر نماذج من شعره قبل اسلامه في سيرة ابن هشام ٤٨/١ ، ٥٩/٢ ، ٣٧٧/٢ ، ٣٩٧٢ ، ١٠٢/٣ ، ١١٢/٣ ، ١٥٠/٣ ، ٢٧٥/٣ .

طريقه الى مكة فقال لرجل « غننا » فقال عمر بن الخطاب : « ان كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب مما يدل على اعجاب الناس وعلى رأسهم عمر بن الخطاب بشعر ضرار المتين .  
وشعره كثير وسنورد بعض ما قاله في الجاهلية وفي الاسلام كنماذج لشعره الرائع فمن شعره في الجاهلية قوله في مدح أم غيلان التي أراد قومها قتل ولدها غيلان فقامت دونه وخلصته من القتل (١) :

جزى الله عنا أم غيلان صالحا      ونسوتها اذن شعث عواطل (٢)  
فهن دفعن الموت بعد اقترابه      وقد برزت للثائرين .. المقاتل  
دعت دعوة (دوسا) فسالت شعابها      وسالت بها الشراح ثم القوابل (٣)  
وعمرأ جزاء الله خيرا فماونى      وما بردت منه لدى المفاصل  
فجردت سيفي ثم قمت بنصلي      وعن أى نفس بعد نفسى أقاتل

وقال يخاطب النبي ﷺ بعد الفتح (٤) :

يا نبي الهدى اليك التجائي      وقريش وأنت خير لجراء  
حين ضاقت عليهم سعة الأر      ض وعاداهم اله السماء  
والنقت حلقنا البطان على      القوم ونودوا بالصيلم الصلعا  
ان سعدا يريد قاصمة الظهر      بأهل الحجون — والبطحاء

وقال في أسر قائد الفرس في معركة ( ماسيدان ) :

ويوم حبسنا قوم (آذين) جنده      وقطراته عند اختلاف العوامل  
وزرد وأديننا وفهدا وجمعهم      غداة الوغى بالمرهفات الصواقل  
فجاءوا الينا بعد غب لقائنا      بما سبذان بعد تلك الزلازل

لقد كان ضرار فعلا ، لا تقل شهرة شعره عن شهرة فتوحاته .  
توفي ١٧ هـ ( ٦٣٨ م ) .

(١) شعث : متغيرات الشعر ، عواطل ما تعطلت من الحلى .  
(٢) دوس : اسم قبيلة عربية ، والشعاب جمع شعب ، والشراح جمع شرجه وهي مسيل الماء ، والقوابل التي تقابل بعضها بعضا .  
(٣) الاسيعاب ٥٩٨/٢ .

**ضرار في التاريخ :**

يفخر الشعراء بضرار شاعرا مجيدا ، ويفخر الفرسان بضرار  
فارسا مغوارا ، ويفخر الأبطال بضرار بطلا مقداما ، أما القادة  
فيفخرون به قائدا غاتحا ضم الى ربوع بلاد المسلمين منطقة واسعة  
لاتزال تدين بالاسلام ، رضى الله عن الشاعر الفارسى — البطل  
الفاتح ضرار بن الخطاب القرشى الفهرى •



### نافع بن الأسود ( أبو نجيد )

نافع بن الأسود بن قلبه بن مالك التميمي شاعر أسدي ، عرف بعد مشاركته في اخماد حركة الردة وكان من جنود خالد بن الوليد في معركة اليمامة ، وقد أبلى بلاء حسنا مع المؤمنين الذين آمنوا بالاسلام وجاهدوا في الله حق جهاده لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، ويعد من السابقين في الاسلام ، ويبدو صدق ايمانه في شعره الذي أنشأه في الجهاد فاذا قرأت شعره تصفحت بين سطوره قوة عقيدته وحسن بلاغه وهو يقاتل الخارجين والمرتدين ويدافع عن بيضة الدين ، وان هذا الايمان القوى كان هو الزاد الوحيد للشاعر الذي ظل يمدده بالقوة ، ويلهب فيه روح الحماس ليواجه به أعداء الله وتكون سلاحا له في المواقف الحاسمة والتصدي للنزعات الشريرة ، وكانت الثقة بالنفس من خلال الاحتماء بالمشيرة تمثل حالة متميزة وجد فيها قومه حافزا يدفعهم الى المارك ، وان هذا الاحتماء بالمشيرة كان حديث الضمير الجماعي الذي أصبح صفة مشروعة ، وقدرة قتالية عريضة تتنبي في القبيلة الى جانب القبائل الأخرى مهمة الاضطلاع ، لأن الاحتماء بها ، والدعوة باسمها والاشارة بمفاخرها هي حالة من الاعتزاز في اطوار الحس الكلي لمجموع القبائل ، وهو استمرار لتراث عريق في الحديث عن مجد القبيلة الذي تتبثق عنه كل الاعتبارات وهذه الصالة أصبحت ميدانا من ميادين التمداد والتفاخر فأبو نجيد يعتبر تميما قومه عتاد الضرب وهم الناهضون اليها اذا ركب الفرسان ويتحملون مسئوليتهم في اشتداد الأزمات ، ويمنعون دارهم من الأعداء عند احتدام الهياج :

بنو تميم عتاد الحرب قد علموا	والناهضون اذا فرسانها ركبو
والصاملون اذا ما أزمة أزمتم	فعل المشائر ان هموا وان ضربوا
والفاصلون اذا ما خطة جهلت	عند الجموع وفيهم تفضل الخطب
والمانعون من الأعداء دارهم	عند الهياج اذا ما اهتزت الطنب
والواردون على كسرى مدائنهم	قسرا ومن دونها بحر له لجب

(١) كتاب الغزوات لابن جيش ١٨٩ .

الى ان يقول : -

شمعت عليها ليوت ما يجمعها عند الصباح بها عجم ولا عرب  
شمس بأيديهم سمر مثقفة وكل غضب له في مته شطط  
إذا جلوها على الأعداء في فزع لاحت كأن على أيديهم شهب  
وهو يستمد من معدنه وحسبه ما يباهى به لأنه امتداد لهذا  
المعدن ، وصلة لهذا الفخر ، فهو من قوم لا تصيب إذا طعنوا  
الا المقاتل ، ويدعو للأيام الحاسمة معاشر تميم الذين يلون دعوة  
الداعي ويجلون قتام اليوم الشديد ، ويسمو بهم الى كسرى ليولى  
مهزوما وهم أكفاء الملوك وأهل العز الثابت والأرومة الأصيلة وهم  
الذرى من معد ، وتميم في استيسالها وجهادها صورة مشرقة ، وفي  
خصالها الحميدة حصيلة مآثر انسانية تضمن المال للجار ، وتطعم  
مادام الدهر ، وتبذل الندى للسائلين ، وتتفق المال لفك العناة وكشف  
المغارم ، وتقود الخيل العتاق الى العدا ضوامر لترد اعتداء ، ولتكسب  
فخرا أو تسجل محمدا وكان لها المربع عند المقاسم وبهذا شرف الله  
قومه في الزمان الأول يقول :

ونحن صبحنا يوم دجلة أهلها سيوفا وأراما وجمعا عرمرما  
نزاوح بالبيض الرقاق رؤوسهم إذا الرمي أضرى بيننا فتنصرما  
قتلتناهم ما بين دجلة والقرى الى النهر وان حيث سار ويمما  
أذقتناهم يوم الدائن بأسنا صراحا وأسقينا الألائم علقما  
سبقتناهم لما تولوا الى الردى كؤوسا ملأناهن صابا وشبرما  
أبيت على السلم ثم رجعت الى السلم لما أصبح السلم محرما  
ويوم يطير القلب من نقراته ربطنا له جائئا وهجنا به دما  
دعسونا اليه من تميم معاشرنا يجيبون داعيهم وان كان مجرما  
يجلون في اليوم الشديد قتامة عن الشمس والآفاق أغبر مظلما  
وانا لنثنى الخيل حتى تملنا على الثغر غتال الكمي المصمما  
سيمونا الى كسرى فولى مبادرا بمعشراذما أصبح الصدع أضخما  
ألا أيهذا السائل عن عشيرتي سنخبر عنهم ان سألت لتعلمنا  
ويتحدث عن قوم في الاسلام وانهم أصبحوا سادة قادة قادوا

الناس الى المجد والسؤدد ، وهم مصابيح ونجوم يقتدى بها وهم اكفاء الملوك العظام ، وأهل أرومة وأصل ثابت ويقارن بين قومه في الاسلام والزمان الأول ففي الزمان الأول ( قبل الاسلام ) تميزوا بالصفات العربية الأصيلة من كرم الضيافة وحماية الجار ، وسيرهم الى الوغى في عزيمة وجسادة واصرار وفوزهم بالغنائم والنصر المؤزر وفي الاسلام ساروا بالناس الى الفضيلة وكانوا أئمة يهتدى بهم ، وليوثا ضراغم هبوا لأهل الشرك وأذاقوهم الوبال والدمار بسيوفهم الصوارم .

وهم أهل عز ثابت وأرومة	وهم من معد في الذرى والغلاصم
وهم يضمنون المال للجار ما ثوى	وهم يطعمون الدهر ضرية لازم
وكان لهذا الحي منهم غنيمة	كما أحرزوا المرباع عند المقاسم
كذلك كان الله شرف قومنا	بها في الزمان الأول المتقاسم
وحين أتى الاسلام كانوا أئمة	وقادوا معدا كلها بالخصائم
الى عزة كانت سناء ورفعمة	لباقيهم تمضى وخير مراغم
وهبوا لأهل الشرك ثم تككبوا	فطاروا عليهم بالسيوف الصوارم
فما برحوا يعصونهم بسيوفهم	على الهام منهم والأنوف الرواغم
لذن غدوة حتى تولوا يسوقهم	رجال تميم جمعها غير نائم
من الراكبين الخيل شعثا الى الوغى	بصم القنا والمرسفات القواصم
فتلك مساعى الأكرمين ذوى الندى	تميمك لا مسعاة أهل الألائم

وشعر الأسود وثيقة لتخليد الوقائع وتسجيل لحركة التحرير المتمثلة في الورد على كسرى ، ودخول المدائن قسرا ، وتجاوزهم لجيوش الفرس على كثرتها ، والتوغل في أعماق ديارهم على الرغم من أعدادهم الهائلة ووصولهم الى قصر كسرى بعد أن أنهزمت جيوشه وفرت بقاياها الى آخر المعارك الحربية التي ذكرها في شعره ونلاحظ أن صوت الحرب في هذا اللون الشعري واضح متميز تعلو ألفاظه وتتحرك أدواته ، وتزجر دلالاته فعتاد الحرب والفرسان والضرب والهياج ، والغزغز والحروب ، والليوث الضراغم كلها صور وألفاظ حربية تعطى

قصائده لونا حربيا ، وتزين المضامين التي يقف عليها بوشاح الأدوات  
المقاتلة .

ان الفاظ الطعن ، وأدوات القتال ، والمكتائب والجهاد والوعى  
وصم القنا ، والملاحم وغيرها من الألفاظ التي كانت تنتشر في شعره  
وهو يؤرخ لكل معركة ويصور كل بطولة ، ويتحدث عن طبيعة القتال  
واستخدام السلاح وأشكاله وهيئاته ، ويركب العبارات التي تضي  
على الألفاظ صيغ المجاز والاستعارة لتكون أوضح في التعبير ، وأجمل  
في التناول .

### أبو مفضل الأسود

هو أبو مفضل الأسود بن قطبة يعد من طليعة الشعراء الأبطال الذين شاركوا في المعارك الإسلامية دفاعاً عن بيضة الدين ، وذوداً عن راية الاسلام لتكون كلمة الله هي العليا - وكلمة الذين كفروا السفلى . وأبو مفضل من الأبطال الذين شاركوا في فتح العراق وأرخوا لبعض الوقائع التي خاضتها جيش المسلمين وقد أظهر من البلاء ما يحمد عليه وقدم من ضروب الشجاعة والفداء ما جعله في مصاف الفرسان المتقدمين وقد ذكره الامام الطبري في تاريخه سنة ١٠٤هـ في حديث القطائع حيث أقطعه عمر ( دار الفيل ) .

وفي السنة السادسة عشرة وعند محاصرة العرب لبهرسير بدره الناس لمخاطبة رسول الملك الفارسي ، والرواية تذكر ان الله أنطقه بما لا يدري هو ولا يدري أصحابه ما قال<sup>(١)</sup> . وينتدب أبو مفضل بعد نزول سعد « بهرسير » وستون رجلاً ليمنع الفرائض ويحمي المقاتلين عند العبور ، وقد أمن أداء المهمة ، ومكن الجند من العبور وتسجيل الانتصار الحاسم<sup>(٢)</sup> .

وتعود سيرة أبي مفضل الى الظهور في وقعة جلولاء وقد أسند اليه بعث السبي<sup>(٣)</sup> وفي فتح الري وقد بالأخماس في وجوه من وجوه أهل الكوفة وكان ذلك سنة اثنين وعشرين ، وفي سنة اثنتين وثلاثين اتجه صوب القسطنطينية بصحبة يزيد بن معاوية ، وعلقمة بن قيس ، ومعضد الشيباني ويأخذ طريق الربطة بعد أن شهد وفاة أبي ذر الغفاري في السنة نفسها وكل ما نقله الطبري عن هذه الشخصية الفذة تؤكد منزلته الرفيعة وحكمته في التعامل ، والثقة العالية التي تتمتع بها وهو يتسلم مثل هذه المهمات وعلى امتداد أكثر من ستة عشر عاماً ،

انظر الشعر والشعراء ٢٢٠/١ - ٢٢١/٢٢١ وتاريخ ابن عسك ١١١/٤ والارشاد ١١٥/٤ .

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٥٨٩/٣٠ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك الطبري ٧/٤ .

(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك ٩/٤ .

(٣) الطبري الرسل والملوك ١٥٠/٤ .

كما يؤكد دوره في المواقع الرئيسية والمركزية للقيادات المفتوح ،  
وتؤكد بروزه وجهها من الوجوه المعتمدة ، وعقلا من العقول المدبرة وإذا  
كان الطبرى قد أغفل ذكر أبى مفرز وهو يذكر يوم الثنى والزميل فإن  
الشاعر قد فصل ذكرها ، ووقف على أسماء الرجال الذين أحيا بهم  
سيوف المسلمين ، فالهذيل الذى كان مع روزبه قد ولى هاربا بعد أن  
جرد المسلمون منهم السيوف ولم يغلت من ذلك الجيش أحد فأوى  
الى عتاب والزميل وداهمهم بالبشر في عسكر ضخم يقول في ذلك :

وسائل بالهذيل وما يلاقى      على الحدثن من بعث الحروب<sup>(١)</sup>  
وعتابة فلا تنسى وعمبرا      وأرباب الزميل بنى الرقوب<sup>(٢)</sup>  
ألم تقتلهم بالبشر طعنا      وضربا مثل تشقيق الضروب  
نساقهم بها حتى تملوا      ذنوبا بعد تفريغ الذنوب  
وليلى قد سبيناها جهارا      وأروى بنت مرذن في ضروب  
وريجان الهذيل قد أصطفينا      وقلنا دونكم علق الذنوب

وقد انتهت وقعة الثنى بانتصار المسلمين وإرسال الأخماس الى  
أبى بكر الصديق مع الصباح المزنى ، ويسجل الشاعر في هذه  
القطعة صورة الانتصار الرائع الذى سجله المسلمون والهوان والذلة التى  
تجرعها المشركون الذين حاولوا إيقاف زحفهم والتعرض لنشر المبادئ  
الانسانية السامية .

ونرى الشاعر في مكان آخر يتحدث عن الأحداث التى وقعت بعد

(١) هو الهذيل بن عمران .  
(٢) عتاب : هو عتاب صاحب الزميل وقصد أوى اليه  
الهذيل هربا من جيوش المسلمين يوم وقعة الثنى والزميل عند البشر  
بأنجزيرة شرقى الرصافة وهو الموضع الذى أوقع خالد فيه بنى تغلب ونجير  
وغيرهم سنة ١٢ هـ أيام أبى بكر رضى الله عنه والبشر موقع من منازل بنى  
تغلب يمتد من عرض الفرات من جهة البادية وقد سمي باسم البشر بن  
هلال بن عقبة رجل من النمر بن قاسط وكان حفيرو الفارسي قتله خالد بن  
الوليد في طريقه الى الشام بعد أن حاول منعه من اجتياز البادية  
شعراء اسلاميون ص ١١٩ .

(٣) ليلى هى ليلى بنت خالد وأروى ابنة المؤذن النمرى وكانتا في  
الأخماس التى أرسلت الى أبى بكر مع الصباح المزنى وريحانة  
هى بنت الهذيل بن هيرة وكانت مع السبي كذلك نفس المرجع ص ١٧٠ .

ففتح الحيرة وأشار إلى النصر المؤزر الحاسم الذي أفاض الله على المسلمين ويذكر تقسيم الفيء وما فرض على الأعداء من الجزية التي كانت سببا من أسباب إطلاق سراحهم وقد حفلت هذه الأيام كما يذكر الطبرى بالكتب والمواثيق التي ترتب العلاقة بين المسلمين وأهل هذه البلاد وهم يخضعون لما طلب منهم صلحا أو جزية أو اسلاما - يقول :

ألا أبلغا عنى الخليفة أننا  
غلبنا على ماء الفرات وأرضه  
فدبرت علينا جزية القوم بعد ما  
ويقول أبو مفرز :

لقينا يوم اليس وأمنى  
فلم أر مثلها فضلات حرب  
قتلنا منهم سبعين ألفا  
سوى من ليس يحصى من قتيل  
ويقول فى هذا المعنى أيضا :

ألا أبلغا عنى العريب رسالة  
ودرت علينا جزية القوم بالذى  
فحنن أمانا بالفرات أرضه  
وحيث نهى اللجى عن دجلة السرى

ونرى أبا مفرز يؤرخ لما وقع بعد الصيرة ، وما اقترن به هذا الفتح من أهمية فالرسول الكريم ﷺ قد ذكر فتح الحيرة، ولما فتحها خالد ابن الوليد صلى صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يسلم فيهن<sup>(١)</sup> وقال فيها قولته المشهورة : لقد قاتلت يوم مؤته فانقطع فى يدي تسعة أسياف ،

(١) الشير : ما بين أعلى الأبهام وأعلى الخنصر وهو مذكور والجميع الشبار ، الأبيات فى غزوات ابن خبيش الورقة ١٨٣ ،  
(٢) الأبيات فى معجم البلدان لياقوت وفى كتاب الفتوح لابن خبيش الورقة : ٣٤ ،  
(٣) الطباطب : الأعجم الذى لا يفتح ،  
(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٣٦٦ ،

وما لقيت كقوم لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس قوما  
كأهل أليس وكتب لهم الكتب التي تعاهدهم على الجزية والمنعة سنة  
اثنى عشرة والشاعر هنا يقف عند هذا الفتح الذي يغلب فيه الأكاسرة  
على ( نصف السواد ) و ( ماء الفرات ) وجيش المسلمين يجوز أكابر  
الفرس بالسيوف ويحملهم على دفع الجزية بعد أن خضد شوكتهم وحل  
نظامهم ووهن كيدهم ، وفرق كلمتهم بعد أن جاء اليهم بقوم يحبون  
الموت كما يحب الفرس الحياة .

وقد سجل الشاعر أحداث القادسية فيذكر المعذب الذي صبحه  
بما أفاء على المسلمين ، وهم يكبرون تكبيرة دوت لها الأرجاء ،  
ويقسم بالله أن هذه التكبيرة لم تكن الا تكبيرة قوم عرفت  
فيهم الفر :

نزلنا بأحساء المعذب ولم تكن لنا همة الا اغتيال المنازل  
لنحوى أرضا أو نناهب غارة يصيح لها ما بين بصرى وبابل<sup>(١)</sup>  
ويخاطب دجلة طالبا منها ان تشكر الله جل جلاله الذي أرسل  
اليها هؤلاء الجنود الفاتحين ليشرفوا قراها التي تحولت الى جنات  
فيحاء بفضل هؤلاء البوأسل المخلصين من حمأة الاسلام

يا دجل ان الله قد أشجاك

هذى جنود الله في قراك

فلتشكرى الذى بنا حبابك

ولا تروعى مسلما أتاك

كما يتغنى شاعرنا أبو مفرز بفتح « بهرسيير » وكيف أذاق  
المسلمون الأعداء الهزائم المنكرة وكان ذلك فتحا عظيما للمسلمين :

زعمتم أننا لكم قطين وقول الفخر يخلطه الفجور

جريرتكم ليس ذلكم كذاكم ولكننا رحي بكم تدور

ولو رامت جموعكم بلادى اذن كرت رحانا تستدين

فللنا حركم بلوى قديس ولم تسلم هنالك بهرسيير

(١) غزوات ابن حبيب الورقة ١٦٠ وانظر شعراء اسلاويون



فتحت البهر سير بأذن ربى      أعدتني على ذاك الأمـسـور  
وقد عضوا الشفاه ليهلكونا      ودون القوم مهرا جرور  
وطاروا قضة ولهم زئير -      إلى دار وليس بها نصير<sup>(١)</sup>

ومع هذا التسجيل التاريخي الذي حققه الشاعر ، والتواصل البطولي الذي شارك فيه ، فإن شعره ظل بعيدا عن التناول إلا من قطع قصيرة تداولها بعض المؤرخين وهي لا يمكن أن تكون بهذه الأحجام التي وردت في هذه الكتب ، لأن هؤلاء المقائلين عاشوا فترة طويلة ، وواكبوا أحداثا كبيرة ، وخاضوا معارك طاحنة ، وسجلوا مآثر خالدة وكانت لهم فيها أدوار مشهورة ، ولكن هذا الشعر الذي مزجه الصديق وعبر عن الحقائق وصدر عن عاطفة الرجال الذين عاشوا أحداث المعارك لم يجد ظله في كتب التاريخ إلا ما ندر كما أننا لم نجد لقاتليه طبقة بين الشعراء وأوشكت شخصهم أن تتضاءل وتذوب في طيات الأحداث التاريخية لولا هذه الومضات المتبقية التي لمعت في زهو الانتصار العربي وأشرقت في احتدام المعارك الحاسمة ، فكان لونهم البطولي الغامشعا وأعمالهم الخالدة مآثر إنسانية سامية .

(١) أرجع إلى غزوات ابن حبيش الورقة ١٨٣ ب وشعراء أسلايون :

### ربيعة بن مقروم الضبي

هو ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عمر وينتمي  
نسبه الى نزار الضبي وهو من شعراء مضر المعدودين ، أسلم وحسن  
أسلامه<sup>(١)</sup> وقد ذكره ابن حجر في قسم المخضمين  
من الأصبا<sup>(٢)</sup> وقد أسلم وشهد القادسية وغيرها من  
الفتوح وعاش مائة سنة وهو القائل في ذلك .

ولقد أتت مائة على أعدها حولا فحولا ان بلاها مبتل  
ومن قصصه التي تحدثنا بها كتب الأدب أنه أسر واستيق ماله ،  
فخلصه مسعود بن سالم بن أبي ليلى بن ربيعة وفي ذلك يقول  
مادحا له :

كفاني أبو الأشوس المنكرات كفاء الاله الذي يحذر  
أعز من السيد في منصب اليه العزاة - والمضر

ويقول فيه أيضا من قصيدة ضمنها بعض الغزل الرائع وقد  
حاكى مقدمة القصيدة الجاهلية :

بانت سعاد غامسى القلب مموذا وأخلفتك ابنة الحر المواعيدا  
كانها ظبية بكر أطاع لها من حومل تلعات الجو أو أودا<sup>(١)</sup>  
قامت تريك غداة البين منسدلا تفاله فوق متنيها العناقيدا<sup>(٢)</sup>  
وباردا طيبسا عذبا مقبسله مخيفسا نبتة بالظلم مشهودا<sup>(٣)</sup>  
وجسرة حرج تدمى مناسمها أعملتأبى حتى تقطع - البيدا<sup>(٤)</sup>

(١) ارجع الى مختار الأغاني ٦٣/٤ والمعنى ٢٢٩/٣ وشرح  
شواهد المعنى للسيوطي والخزانة ٥٦٦/٣ .

(٢) الأصبا ٥١١/١ .  
(٣) أطاع : كثر المرتع واتسع ، والتلعات : جمع تلعة بسكون اللام  
وفي من الأضداد تكون لما ارتفع وانخفض ، حومل والجوآود : مواضع .

(٤) منسدلا : يريد شعرها المسترسل .  
(٥) وباردا عني به تغرها ، وكلبسا يبرد الثغر كان أطيب لربحه  
المخيف مثل المخلل أي قد خيف بالظلم وهو ماء الاسنان وإذا صفت وبرت  
كان لها ظلم ، مشهودا : كان طعمه طعم الشهد .

(١) الجسرة : الناقة ، الحرج : الطويلة على وجه الأرض ، أعملتها  
نشرت عليها .

كلفتها فرأت حقاً تكلفه      وديقة كأجيج النار صيخوداً<sup>(٥)</sup>  
 في مهمه قذف يخشى الهلاك به      أصدأؤه ماتنى بالليل تعويداً<sup>(٦)</sup>  
 ثم يذكر بهجته وغبطته بلقاء مسعود الذى خلصه من الحبس  
 فقال :

لما تشبكت الى الأين قلت لها      لا تستريحين ما لم الق مسعوداً<sup>(٧)</sup>  
 ما لم الاق امرأ جزلاً مواهبه      سهل البناء رحيب الباع محموداً<sup>(٨)</sup>  
 وقد سمعت بقوم يحمدون فلم      أسمع بمثلك لا حلماً ولا جوداً  
 ولا عفافاً ولا صبراً لفائبة      وما أنبىء عنك الباطل السيداً<sup>(٩)</sup>  
 وقد سبقت أصيالات الجياد وقد      أشبهت في ذلك الصيد الصناديداً<sup>(١٠)</sup>  
 هذا ثنائى بما أوليت من حسن      لا زلت عوض قرير العين محسوداً  
 ولا عفافاً ولا صبراً لفائبة      وما أنبىء عنك الباطل السيداً  
 وقال يمدحه أيضاً :

كفانى أبو الأشوس المنكرات      كفاه الله الذى يحذر  
 أعز من السيد فى منصب      اليه العزازة - والمفخر

والشاعر يتحدث عن أيام قومه فى الجاهلية ويسجل هذه الأيام ،  
 ويذكر القبائل التى نكلت بها قبيلته ، ويعدد الرجال الذين كان لقومه  
 شرف قتلهم ، وهو لا يبنى من وراء ذلك الا تذكير الأجيال بهذه المفخر  
 فيقول :

بنو الحرب يوماً اذا استلأموا      حسبتهم فى الحديد القروما

- (١) الوديقة : أشد الحر ، الصيخودا : الشديدة أى كلفتها وديقة  
 فرأت لنجابتها بما ألزمتها حقاً عليها .  
 (٢) المهمة القفر الذى لا ماء فيه ولا نبات ، الغذف بفحتين وبغسيتين  
 البعيدة الأصداء : جسع صدى وهو الذكر من البوم ، ماتنى : ما تنصر  
 ومنه التوانى .  
 (٣) الأين : التعب ومسعود والمراد به المدوح .  
 (٤) جزل المواهب : كثير المعطاء .  
 (٥) السيد هو ابن مالك بن بكر وهو الجد الأعلى للمادح والمدوح  
 وقيل السيد : قوم ربيعة بن مغروم يقول لا أخبرهم عنك بالباطل وإنما  
 أمدحك بالحق .  
 (٦) السيد : جسع أصيد وهو الذى لا يلتفت من التكبر  
 الصناديد الكرام ، أراد بعوض الدهر وهى مبنى على الضم :

لقدى ببزاحة أهلى لهم      واذا لقيت عامر بالنسبا  
 به شاطروا الحى أموالهم      وسارت لنا مذحج بالكلاب  
 فدارت رحانا بفرسانهم      بطعن بجيش له عائد  
 وضحت بتيمن أجسادهم      تركنا عمارة بين الرماح  
 ولولا فوارسنا ما دعت      وقد تحدث رببعة عن صنيعة في حرب القادسية وبلائه فيها ،  
 وقد نعمتها بمعركة ( الفيول ) لاشتراك الفيلة في هذه المعركة ، ويبدو  
 أن القصيدة نظمت على مراحل ، لأن الشاعر في بعض أبياتها يفخر  
 باقتحامه حوانيت الخمارين فيقول :  
 وشهدت معركة الفيول وحولها      أبناء فارس بيضها كالأعبل  
 متسريلي خلق الحديد كأنهم      جرب مقارفة عنية مهمبل  
 ثم يقول :  
 فأتيت حانوتا به فصبحته      من عاتق بمراحها لم تقتل  
 صهبا صاغية القذى أغلى بها      يسر كريم الخيم غير مبخل  
 وفي شعره إشارة الى أنه زار أبنية الملوك ودخل عليهم :  
 دخلت أبنية الملوك      ولشرقول المرء ما لم يفعل  
 وقد تجلى إيمانه بالله واعتقاده بالقدر وسخريته من سوانح  
 الطير بقوله :  
 أصبح ربى في الأمر يرشدنى      اذا نويت المسير والطلب  
 لا سنانح من سسوانح الطير يثنى ولا ناعب اذا نعبا  
 تقويم شعره :

يعد شعر ربعة الوثيقة الوحيدة التى تفسر لنا أحداث حياته ،  
 وتوضح جوانبها وتكشف عن اتجاهاته الشعرية ، وطريقته التى كان



ففاضت دموعي فنهنتها على لحيتي وردائي سجوماً<sup>(١)</sup>  
 فعديت أدماء عيرانة عذافرة - لا تمل الرسيم<sup>(٢)</sup>  
 كنار البضيع جمالية اذا ما بغمن تراها كتوما<sup>(٣)</sup>  
 كاني أوئسح أنساعها أقب من الحقب جأياً شتيماً<sup>(٤)</sup>  
 وربيعه كثير التشبيهات المستقاة من بيئته دون مبالغة أو مغالاة ،  
 فمحبوبته سعاد كأنها ظبية بكر ، وهي تريك منسدلاً تخاله فوق متنيها  
 المناقيد - كما استخدم ضروباً من الطباق والجناس والاستعارة  
 والمجاز تحملنا على الاعتقاد بأن الشاعر كان يميل الى الصنعة في نظمه ،  
 وكان الى جانب ذلك يميل الى استعمال الأدوات والصور والألوان .  
 ويقف ربيعة في صف الشعراء الفرسان في أوصاف الخيل لأنه  
 أدرك قيمتها وعرف أهميتها ، فوصفها وصفاً دقيقاً ، ورفعها الى مصاف  
 البشر ، تقديراً لها واعترافاً بفضائلها ويجمع مؤرخو الأدب على أنه  
 كان أحد شعراء مضر المعدودين في الجاهلية وذكره دعلج في طبقات  
 الشعراء وقال حماد الراوية دخلت على الوليد بن يزيد وهو مصطبج  
 وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة ، وحكم الوادي وعمر الوادي  
 يغتونه ، وعلى رأسه وصيفة تسقيه لم أر مثلاً تماماً وكمالاً وجمالاً ،  
 فقال لي الوليد : يا حماد : اني أمرت هؤلاء ان يغنوا صوتاً يوافق  
 صوت هذه الوصيفة وجعلتها لمن يوافق قوله صفتها فما أتى أحد منهم  
 بشيء فأئشدتني أنت ما يوافق صفتها وهي لك فأئشدته قول ربيعة :  
 دار لسعدى اذ سعاد كأنها رشاً غريب الطرف رخص المفصل  
 فقال لي الوليد أصبت وعلق صاحب الأغاني بعد ذلك بقوله :  
 « وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده وحسنه »<sup>(٥)</sup> .

(١) نهنتها : كفتها ، سجوماً : متتابعة .  
 (٢) الأدماء : البيضاء أراد النسافة ، وعديتها : عزلتها لرحلى  
 واخترتها ، العيرانة : التي تشبه بالعر لصلابتها والعذافرة : الفخمة ،  
 الرسيم : ضرب من السير .  
 (٣) الكنار : المكتنزة ، البضيع : اللحم ، الجمالية : التي تشبه  
 الجمال ، البقام : ضرب من الرعاء ليس بالشديد الكتوم : التي تكتم الرعاء .  
 (٤) الانساع : سيور عراض تشد بها الرجال ، وتوشيحها : شدّها  
 الأقب : الضابر ، والحقب : جمع أحقب وهو الحصار الوحشي الذي في  
 بطنه بياض ، الجاب : الفلظ ، الشقيم : الكرية الوجه .  
 انظر الأغاني ٩٢/١٩ والشعر والشعراء ٢٣٦ والاصابة ٥٦١/١ .

### خفاف بن ندبة

#### نسبه وأسرته :

هو خفاف بن ندبة بن عمير بن الحارث بن الشريد بن رباح السلمى ، وأمه ندبة ( بضم النون وفتحها ) وكانت سوداء حبشية واليهما ينسب ولقب بالسلمى نسبة الى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار وهو من شعراء بنى سليم الذين عرفوا بأبائهم وعده ابن قتيبة في المنسوبين الى غير عشائريهم وآبائهم أما كنيته فأغلب المصادر تشير الى أنه أبو خراشة وله يقول عباس بن مرداس السلمى وكان يهاجيه :

أبا خراشة : أما أنت ذا نفر فان قومى لم تأكلهم الضبيح  
وهو من أغربة العرب اذين اختلف في عددهم فقليل ثلاثة : عنزة  
وأمه زبيبة سوداء ، وخفاف بن عمير الشريدى من بنى سليم وأمه ندبة  
واليهما ينسب وقد سبها الحارث بن الشريد حين أغار على بنى الحارث  
ابن كعب ، ووهبها لابنه عمير فولدت له خفافا ، والسليك بن عمير  
السعدى ، وأمه سلكه واليهما ينسب .

وخفاف شاعر مخضرم عاش في الجاهلية دهرًا ثم أدرك الاسلام  
فأسلم ، ولم تمتد به الحياة طويلا لأنه مات في زمن عمر بن الخطاب  
رضى الله عنه ، وحياة هذا الشاعر غير واضحة المعالم ، وتعد مهاجراته  
للمعباس بن مرداس من أوضح المعالم البارزة في حياته لأنه أظهر فيها  
شخصيته ، وصور صفاته وأبرز الجوانب الحقيقية التي كانت تدور  
في نفسه وقد خدمته هذه المهاجاة أكثر مما خدمه شيء آخر .

وقد ذكر صاحب الأغاني أسباب المهاجاة فقال : ان خفافا كان في  
ملا من بنى سليم فقال لهم<sup>(١)</sup> ان عباس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا  
ما بلغ عباس بن أنس ويأبى ذلك عليه خصال فعدن به — فقال له رجل  
من رهن المعباس ، وما تلك الخصال يا خفاف قال اتقاؤه بخيله عند

(١) الأغاني ٢٤/١٦ سلمى .

الموت ، واستهانته بسبايا العرب ، وقتله الأسرى ، ومكالبته للصعاليك  
على الأسلاب ، ولقد طالعت حياته حتى تمنينا موته فانطلق الفتى الى  
العباسي فأخبره الخبر فقال العباسي يا ابن ، ان لم أكن كالأصم في  
فضله ، فلست كخفاف في جهله ، وقد مضى الأصم بما في أمس وخلفني  
بما في غد فلما أمسى تغنى وقال :

خفاف ما تزال تجسر ذيلا الى الأمر المفارق للرشاد  
إذا ما عاتيتك بنو سليم ثنيت لهم بداهية - نأد<sup>(١)</sup>  
وقد علم المعاصر من سليم بأنني فيهم حسن الأيادي  
فأورد يا حنّاف فقد بليتيم بنى عوف بحية بطن واد<sup>(٢)</sup>

قا ليثم أصبح غائى خفافا وهو في ملا من بنى سليم فقال : قد  
بلغتني مقاتلك يا خفاف والله لا أستم عرضك ، ولا أسب أباك وأمك ،  
ولكن رمى سوادك بما فيك ، وانك لتعلم أنى أحمى المضاف وأتكلم على  
السبى ، وأطلق الأسير ، واصون السبية ، وأما زعمك أنى اتقى بخيلى  
الموت ، فهات من قومك رجلا أتقيت به ، وأما استهانتي بسبايا العرب  
فانى أخذو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائنا وأما قتلى الأسرى فانى  
قتلت الزبيدي اذ عجزت عن ثأرك ، وأما مكالبتى للصعاليك على الأسلاب  
فوالله ما أتيت على مسلوب قط الا نلت ساليه ، وأما تمنيك موتى فان  
مت قبلك فاعن غنائى ، وان سليما لتعلم أنى أخف عليهم مؤنة وأثقل على  
عدوهم وطأة منك ، وانك لتعلم أنى ابحت حمى بنى زبيد وكسرت قوى  
بنى الحارث واطفأت جمرة خثعم ، وقلدت بنى كنانة قلائد العار ثم  
انصرف ، ويقول ابن قتيبة ان الأمر قد تمادى بينهما الى أن احتربا<sup>(٣)</sup> ،  
وكثر القتلى بينهما مما حمل الضحّاك بن عبد الله السلمى وهو صاحب  
أمر بنى سليم الى أن يطلب اليهما الكف عن ذلك ، وان يحط رحل هذه  
المطية النكداء وينحرفا عن هذا الرأى الأعوج ولكنهما لجأ وأبيا ثم  
أتاهما دريد بن الصمة ومالك بن عوف النضرى رأس هوازن

(١) نأد والنأدى : الداهية الشديدة .

(٢) حية بطن واد : أى بداهية خبيث .

(٣) الشعر والشعراء ٦٢٢ بيروت .



وطلبا منهما مثل ما طلب الضحك فندم العباس وقال قصيدته التي مطلعها :

ألم ترأني كرهت الحروب      وأنى ندمت على ما مضى  
ندامة زار على نفسه      لتلك التي عارها يتقى  
فأجابه خفاف :

أعباس أما كرهت الحروب      فقد ذقت من عضها ما كفى  
أألقحت حرباً لها درة      زبوناً تسعرها باللظى  
علمنا ترقيت في عيها      دحضت وزل بك المرتقى  
فأضربت تكي على زلة      ومناذا يرد عليك البكا  
فان كنت أخطأت في حربنا      فلسنا مقيليك ذاك الخطا  
وان كنت تطمع في سلمنا      فزاول ثبيراً وركني حرا  
وفي هذا الرد تتجلى منزلة خفاف ، ويتضح مركزه فهو رأس جماعة  
تأتمر بأمره ، وفارس قبيلة تسير وراءه ، وقد أظهر خفاف ضروبا من  
هذه الشجاعة والدراية بأساليب الحرب والمعرفة بفنونها في مواطن كثيرة  
( أنظر الأغاني ١٣/١٣ - ١٣٥ ( ساسى ) وابن عبد ربه في العقد الفريد  
١٦٣/٥ ) .

وعده الجاحظ والعباس بن مرداس وابننا شداد وعنترة الفوارس  
وأخاه هراسه وسليك بن السلكة ، اسد الرجال ، وأشدهم قلوبا  
وأشجعهم بأسا وبهم يضرب المثل ( راجع فخر السودان على البيضان )  
الى جانب العبارات التي أوردها القدامى في تأكيد هذه الفروسية  
والشجاعة فقد نعت ابن دريد بأنه من فرسان العرب ( ابن دريد  
الاشتقاق ص ٣٠٩ ) وقال عنه أيضا بأنه أحد سودان العرب وفرسانها  
ووصفه الأمدى بأنه فارس مشهور ( المؤتلف والمختلف ١٥٤ ) .  
ومن الطبيعي أن توضح لنا هذه الآراء بطولته وشجاعته وفروسيته  
ومكانته وقدرته على تصدر هذا المركز الذى تبوأه ، لأن الفارس لا يمنح  
هذا اللقب الا بما يثبت به أنه أهل له وسط مجتمع تألفت فيه البطولات  
وتسابق فيه الفرسان ، وسادت فيه القوة ، وتحكم فيه السيف في كثير  
من الأحيان .

أما مشاركته في الأحداث الإسلامية فهو صحابي جليل ، أسلم قبل الفتح وشهد مع النبي فتح مكة ومعه لواء بنى سليم وشهد موقعة حنين والطائف وثبت على إسلامه في الردة وعادى قومه وتبرأ منهم وقال :

لا دينكم ديني ولا أنا كافر حتى يزول إلى الطرارة شمام ومدح أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) لأنه قاوم المرتدين وأعادهم إلى جادة الإسلام وروى عن النبي ﷺ بعض الأحاديث ( انظر أسد الغابة ١١٨/٢ - ١١٩ والاستيعاب ٤٥٠/٢ - ٤٥١ ) .

وفي هذه المواقف تتجلى شخصية خفاف الإسلامية ، ويبرز صدق عقيدته في الذود والدفاع عن المثل العليا التي جاء بها الإسلام . ومعظم شعره قاله في مهاجته للعباس بن مرداس وفي الأغراض الجاهلية التي يسجل فيها تاريخ حياته وأخبار مغامراته وتعد مجالا فسيحا بسط فيها مفاخره ومفاخر قومه ومآثره ومآثر قومه وبطولاته وبطولاتهم وقد تجلت هذه الميزة في قصائده المختارة في الأصمعيات ومنتهى الطلب :

أما قصائده المذكورة في الأغاني فتتسم بطابع المهاجرة التي يتضح فيها فن النقائض بأكمل أشكاله ، وأوضح صوره ، وتبدو معالها التي بنى عليها هذا الفن ، إلى جانب جريانها في حدود قبيلة ملحوظة المكانة من قيس عيلان ، وإن عناصر هذه النقائض كانت في كثير من الأحيان ، فضائل اجتماعية ، حتى إذا اشتد أوارها ، ودعت إلى القتال ، وجدت من يجد من سورتها ويخفف من غلوائها ثم عادت قوية ، وكانت في معظم معانيها وأشكالها تأخذ طريق قلب المعاني والموازنة والتكذيب مع غلبة الفخر عليها .

وهي نقائض تستحق الدراسة المستفيضة لأنها توضح جوانب عديدة من هذا الفن وتكشف عن التطور المتكامل الذي صاحبه في العصر الجاهلي ومن هذا الفن قوله في العباس :

أرى العباس ينقص كل يوم ويزعم أنه جهلا يزيد  
غلو نقضت عزائمهم وبادت سلامته لكان كما يريد

ولكن المعاييب أفسدته      وخلف في عشرته زهيد<sup>(١)</sup>  
فعباس بن مرداس بن عمرو      وكذب المرء أقبح ما يفيد  
حلفت برب مكة والمصلى      واشياخ محلقه تهود<sup>(٢)</sup>  
بأنك من مودتنا قريب      وأنت من الذي تهوى بعيد  
فأبشر أن بقيت بيوم سوء      يشيب له من الخوف الوليد  
كيومك إذ خرجت تفوق ركضا      وطار القلب وانتفخ الوريد<sup>(٣)</sup>  
فدع قول السفاهة لا تقله      فقد طال التهدد والوعيد  
رأينا من نحاربه شقيا      ومن ذا يا بني عوف سعيد

وقد أجاد خفاف عن الوصف لأنه شغف بالبادية ، وما فيها من  
مظاهر مختلفة ، فوصف البرق والسحاب والمطر والرياح والسيل الذي  
يستخرج الضباب والذئاب ، ووصف الفرس على عادة الفرسان بأبيات  
تعد في مقدمة أوصاف الشعراء لها ومن ذلك قوله :  
بالضابغ الضابط تقريبه      إذ وئت الخيل وذو الشاهد  
فهو يجانس بين الضابغ والضابط ، وهذه المحسنات البديعية  
ظاهرة في بقية شعره فتراه يجانس بين مطاعين ومطاعيم في قوله :  
أبى الشتم أنى سيد وابن سادة      مطاعين في الهيجا مطاعيم للجرم

#### أما منافراته ومفاخراته :

فقد افتخر بفروسيته ونجدته ، وفخر بالروءة والصبر والنجدة  
وكرم النفس والكياسة وقيادة النفس وقيادة القوم . وممارسة الحروب  
ومزاولة الأسفار وقطع المفاوز والمهامه ومطاردة بقر الوحش وحمرة ،  
وفخر بحمايته حقيقة قومه وأدراكه الأبطال من خصومه ومن ذلك اللون  
قوله :

غلثن صرمت الحبل يا ابنة مالك      والرأى فيه مخطيء ومصيب

(١) زهيد وزاهد : لنيم .  
(٢) تهود : تتوب .  
(٣) يقال طار القلب : أي مال إلى جهة يهواها وتعلق بها والوريد  
الذي في صفحة العنق ، ينتفخ عند الغضب ويوصف بهذه الصفة من كثر  
غضبه وسامت أخلاقه .

فتعلمى انى امرؤ ذو مرة      فيما ألم من الخطوب صليب<sup>(١)</sup>  
أدع الدناءة لا ألبس أهلها      ولدى من كيس الزمان نصيب<sup>(٢)</sup>

#### وتغزله :

يمشى فيه على طريقة القدماء كما قدمنا ولكن الصنعة تغلب على  
هذا الغزل لأنه كما يبدو غير صادر عن عاطفة جياشة وإنما يسلك فيها  
مسلك القدماء فيبدأ بحديثه عن الطيف ، ويعجب لمسراء وكيف جاز  
الوديان واستقر لدى وساده ثم يستعيد ذكرى صاحبتة خلسة ويبين  
لحبيبته مدى صبره على حقائقها ثم يذكر الشباب الزائل ويبكى على  
أيامه المنصرمة ومن هذا اللون قوله كما قدمنا : —

يا من لقلب شديد الهم محزون      أمسى تذكر ربا أم هارون  
أمسى تذكرها من بعد ما شحطت      والدهر ذو غلظة حيناً وذو لين  
فان يكن حياها أمسى لنا شجنا      وأصبح الرأى منها لا يواتينى  
فقد غنينا وشمل الدهر يجمعنا      أطيع ربا وربا لا تعاصينى  
نرمى الوشاة فلا تخطى مقاتلهم      بصادق من صفاء الود مكنون

#### أما رثاؤه :

فقد كان فيه صادق العاطفة يصدر عن قلب جبل على الحب والنوفاة  
والمروءة .

وأشهر مراثيه تلك التى قالها يرثى الخليفة الأول أبا بكر الصديق  
رضى الله عنه :

ليس لشيء غير تقوى جمعاء      وكل شيء عمره — للنفاء<sup>(٣)</sup>  
والملك فى الأقوام مستودع      عارية فالشرط فيه الأداء  
ان أبا بكر هو الفيث أذ      لم تشمل الأرض سحاب بماء  
تالله لا يدرك أيامه      ذو طسرة حاف ولا ذو حذاء

(١) الصليب ذو الصلابة يقال رجل صلب وصليب ، والمرء : القوة .

(٢) كيس الزمان : حنكته وتجاريه .

(٣) الجدا : المطر العام ، وغيث جدا لا يعرف انقضاء ، والجدا :  
العملية وفى الحديث : اللهم أسقنا غيثا غدقا وجدا طيبا .

من يسبح كى يدرك أيامه      يجتهد الشد بأرض فضاء<sup>(١)</sup>  
المرء يسمى وله راصد      تنذره العين وثوب الفراء<sup>(٢)</sup>  
يهزم أو يقتل أو يقهر      يشكوه سقم ليس فيه شفاء  
ومن شعره الحكيم قوله :  
إذا أنا وأغانى حمامى ومضجى      وسبوى على جندل وكثيب  
فكل وفاء عند ذلك ميت      وكل رجاء عند ذلك يخيب  
وقد جعله ابن سلام فى الطبعة الخامسة من الفرسان وهو شاعر  
مجيد لا يصل فى شاعريته الى الطبقة الأولى من الشعراء الكبار ،  
ولا ينحدر الى طبقة الشعراء المنمورين<sup>(٣)</sup> .

---

(١) أى يجتهد ويبلغ أقصى ما يمكن .  
(٢) أى تنذر الراصد عينه أن يثبت على هذا المرصد ليختله .  
(٣) شعراء اسلاميون من ٤٤٥ .

### عدى بن حاتم الطائي

هو عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس ابن عدى الطائي ولد الجواد المشهور أبو طريف ، أسلم سنة تسع وقيل سنة عشر وكان نصرانيا قبل ذلك ، وثبت على إسلامه في الردة ، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر وشهد فتوح العراق ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي كرم الله وجهه ومات بعد الستين وقد أسن وبلغ عشرين ومائة سنة وقال أبو حاتم السجستاني بلغ مائة وثمانين قال ابن خليفة عن عدى بن حاتم ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء وقال الشعبي عن عدى بن حاتم أتيت عمر في أناس من قومي فجعل يفرض للرجل ويعرض عني فاستقبلته ، فقلت أتعرفني قال نعم آمنت إذ كفروا وعرفت إذا نكروا ووفيت إذا غدروا وأقبلت إذا أدبروا إن أول صدقة بيضت وجوه أصحاب رسول الله ﷺ كانت صدقة في طي (٢) .

روى الإمام أحمد في مسنده عن عدى بن حاتم قال : « فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي : يا عدى بن حاتم أسلم تسلم ثلاثا قال : قلت اني على دين . قال : أنا أعلم بدينك منك ، فقلت أنك أعلم بديني ؟ قال : نعم الست من الدكوسية (٣) .

وأنت تأكل مبراع قومك ؟ قلت بلى قال فان هذا لا يحل لك في دينك قال : قلت نعم فلم يعد أن قالها فتواضعت لها ، قال أما اني أعلم الذي يمنعك من الاسلام ، تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة لهم ، وقد رمتهم العرب .

أتعرف الحيرة ؟ قلت لم أرها وقد سمعت بها قال هو الذي نفسى بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة (١) من الحيرة حتى تطوف

(١) أخرجه أحمد وابن سعد وبعضه في مسلم انظر الاصابة ج ٤ ص ٢٢٩ .  
(٢) دين بين النصاري والصابئين .  
(٣) الظعينة : المرأة .

بالببيت في غير جوار احد ، ولتفتحن كتوز كسرى بن هرمز قال : قلت  
كتوز كسرى بن هرمز ١ ؟

قال نعم كسرى بن هرمز وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد قال  
عدى : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة تطوف بالببيت من غير جوار ، ولقد  
كنت غيما فتج كتوز كسرى والذي نفسى لتكونن الثالثة لأن رسول الله  
ﷺ قد قالها قال عدى فأسلمت فرأيت وجهه قد استبشر وقال « أن  
المغضوب عليهم اليهود ، وان الضالين النصارى » (١) .

ولقد أكرم الاسلام عدى بن حاتم فسطر التاريخ له صفحات من  
نور ، وما كان عدى يدري بعد هذا كله أنه تنتظره في مستقبل حياته  
مهمات جسام ، تتجاوز حدود طبيء ، وتترك آثارا وفتوحا غيما وراء  
جزيرة العرب ، وما كان يعلم أن اخلاقه الكريمة ومعدنه الأصيل ستجد  
في مبادئ الاسلام وواقع الحياة الاسلامية تربة صالحة فتنمو وتزدهر  
وتثمر ، ويصبح عدى في طليعة المسلمين ومن خيارهم ، مسلما تقيا  
وكريما نبيلًا وسيدا مطاعا ، وجنديا مخلصا شجاعا في جهاد أعداء الله ،  
وبطلا صنديدا في حروب الردة يقاتل المرتدين حتى يعود الاسلام العظيم  
قويا كما كان ، منيعا في وجوه المرتدين والمشركين ، ووقف بعقله الكبير ،  
وإيمانه الراسخ في وجه قبيلته طييء حتى لا ترتد ، وتبين أن عديا ليس  
بالسابع الماهر الذي يستطيع أن ينقذ نفسه فحسب ، وإنما هو ربان  
ماهر يعرف كيف ينقذ قومه من الغرق ويحفظهم من العواصف والأهواء ،  
ويوصلهم الى شاطئ الطمأنينة والسلامة والاسلام ولولا حكمة عدى  
وبراعته في سياسة قومه وغيرهم من قبائل العرب لارتدوا عن الاسلام  
وكانت فرصة نادرة وذهبية لخالد بن الوليد أن يتعرف على قائد فذ حكيم  
ألا وهو عدى بن حاتم ليستعين به في فتوحاته المختلفة وليضعه في أول  
مستشاريه وخبرائه العسكريين ، ويعتمد عليه في الملهمات والنوايب بعد  
أن تيقن منه السداد في الرأي ، والصلابة في دين الله ، ومحبة قومه  
وطاعتهم له وقد عرف عدى بدوره قائده المظفر خالد بن الوليد (٢) وخبر

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٥٤ .

(٢) نفس المصدر ٢٥٥ .

شجاعته في نصرته دين الله وانضوى تحت لوائه في حروب الردة وحروب  
فتوح الشام والعراق روى الطبري عن عدى بن حاتم قال : « بعثت  
الى خالد بن الوليد أن يسر الى فأقم عندي أياما حتى أبعث الى قبائل  
طبيء ، فأجمع لك منهم أكثر ممن معك ثم أصحبك الى عدوك قال فسار  
الى » .

وروى الطبري أيضا عن سعد عن مجاهد أنه سمع أشياخا من قومه  
( طبيء ) يقولون سألتنا خالدا أن تكفيه قيسا فان بنى أسد حلفاؤنا  
فقال : والله ما قيس بأوهم الشوككتين أصمدوا الى أي القبيلتين أحببتهم  
فقال عدى لو ترك هذا الدين أسرتي — الأدنى فالأدنى من قومي —  
لجاهدتهم عليه ، فأنا امتنع عن جهاد بنى أسد لحلفهم ! لا لعمر الله  
لا أفعل ! فقال له خالد : ان جهاد الفريقين جميعا جهاد ، لا تخالف رأي  
أصحابك وامض الى القوم الذين هم لقتالهم أنشط فله در عدى بن  
حاتم في هذه المواقف البطولية التي تؤكد انه حقا خير مولود ولد في  
أرض طبيء وأعظمه على قومه والمسلمين جميعا بركة وتثبيتا وكلما تقدمت  
به الشهور والسنوات وازدادت مسؤولياته في نصرته الحق في عقيدة  
وايمان تأكد في سمع الزمن ورسخ في تاريخ الأمة الاسلامية أن أبا  
طريف الطائي من خيار الناس في الجاهلية والاسلام .



### عدى الفاتح والفارس والشاعر

وكما كان حضور عدى بن حاتم ظاهراً وبارزاً في حروب الردة ، فإن حضوره في الفتوحات الإسلامية مع قبيلته طيء كان ظاهراً وبارزاً أيضاً ففي السنة العاشرة للهجرة جهز أبو بكر جيشاً للمسير إلى العراق وكان لابد أن يختار لهذا الجيش الفوارس الصناديد الذين يحرزون له النصر ويسبون به إلى الظفر فاختار عدياً وبعض فرسان قومه للانخراط في هذا الجيش يقول الامام الطبري : « فرق خالد مخرجه من اليمامة جنده ثلاث فرق ولم يحملهم على طريق واحدة ، فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر ، وسرح عدى بن حاتم وعاصم بن عمرو دليلهما مالك بن عباد وسالم بن نصر أحدهما قبل صاحبه بيوم ، وخرج خالد ودليله رافع ، فواعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به وليصادموه به عدوهم . »

وفي الطريق إلى الحيرة شهد عدى عدداً من المعارك والانتصارات التي أظهر فيها خالد بن الوليد عبقرية غدة وبطولة نادرة وقيادة حكيمة وهناك عند قصور الحيرة رأى عدى بعينى رأسه تحقق المعجزة التي أخبر بها النبي ﷺ بقوله : ( لتفتحن عليكم كنوز كسرى بن هرمز ) .

ثم اشترك مع المثنى بن حارثة في الفتوحات فشهد معركة الجسر التي ابتلى فيها المسلمون وسقط منهم أربعة آلاف شهيد ثم تتابعت المشاهد والفتوح وتوجت بانتصار القادسية والمدائن كما شهد عدى فتح جلولا الواقعة في ذي القعدة سنة ست عشرة ، وقتل الله يومئذ من الفرس مائة ألف وغنم المسلمون أموالاً عظيمة وفي نهاية السنة السابعة عشرة اختط سعد الكوفة ، وكان عدى ممن سكنها وارتبطت مشاهدته بفتوحاتها وأحداثها وكانت معركة نهاوند خاتمة جهاده وكفاحه التي شهدها عدى أميراً بلا منازع على فرسان قومه طيء ورجالائهم .

وفي هامش كتاب ( المعرون ) لأبي حاتم السجستاني « ولا غلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة وقع بينهما تناسك فهم عدى بالخروج عليه ثم عجز لكبر سنه وكان قد بلغ مائة وعشرين عاماً » وقال في ذلك :

أصبحت لا أنفع الصديق ولا أملك خيرا للثانيء الشرس  
وان جرى بي الجواد منطلقا لا يملك الكف رجعة الفرس<sup>(١)</sup>  
ولكن أبا حاتم السجستاني رجع وقال وعاش عدى بن حاتم  
مائة وثمانين سنة فلما اسن استأذن قومه في وطاء يجلس عليه في  
ناديهم وقال : انى أكره أن يظن أحدكم انى أرى عليه فضلا ، ولكنى  
كبرت ورق عظمى فقالوا ننظر فلما أبطأوا قال :  
أجيبوا يا بنى ثعل بن عمرو ولا تخفوا الجواب من الحياء  
فانى قد كبرت ورق عظمى وقل اللحم من بعد النقاء  
وأصبحت الغداة أريد شيئا بقينى الأرض من برد الشتاء  
وطاء يا بنى ثعل بن عمرو وليس لشيخكم غير الوطاء  
فان ترخصوا به فسرور راض وان تأبوا فانى ذو أباء  
سأترك ما أردت لما أردتم وردك من عصاك من الغباء  
لأنى من مساءتكم بعييد كبعد الأرض من جو السماء  
وأنى لا أكون بغير قومي فليس الدلسو الا بالرشاء  
فأذنوا له أن ييسط في ناديهم وطابت به أنفسهم ، وقالوا أنت  
شيخنا وسيدنا وابن سيدنا وما فينا أحد يكره ذلك ولا يدفعه<sup>(٢)</sup> .  
وقبل أن نختم حياة عدى المباركة نذكر طرفا من مآثره الخالدة  
التي حق للتاريخ أن يكتبها بمداد من نور .  
فمن عبادته وتقواه ما أخرجه ابن عساكر عن عدى بن حاتم رضى  
الله عنه قال : ما جاء وقت الصلاة الا وقد أخذت لها أهميتها ، وما جاءت  
الا وأنا اليها بالأشواق<sup>(٣)</sup> الحديث .  
ومن كرمه وجوده ، استعاره بعض أشراف الكوفة من عدى قدوره  
لوليمة له فحضر الجزر وملاها ، ثم حملت الى المستعير بالدهوق مملوءة  
وقال هكذا نعيم قدورنا<sup>(٤)</sup> .  
وقيل له في جاهليته مالك لا تشرب الخمر قال : لا أشرب ما يشرب

(١) الطبرى ٣ : ٣٤٨ .

(٢) المعبرون ص ٤٧ .

(٣) نفس المصدر ٤٦ — ٤٧ .

(٤) حياة الصحابة ص ٣٤٥ ج ٢ المجد لابن حبيب ص ١٥٦ .

عقلى ويقل له في جاهليته أيضا مالك لا تشرب النبيذ فقال معاذ الله أن أصبح  
حليم قومي وأمسى سفيهم ومن أجوبته المستكة انه دخل على معاوية  
وعنده عبد الله بن الزبير فقال ابن الزبير يا أمير المؤمنين هجه فان عنده  
جوابا فقال معاوية أما أنا فلا ، ولكن دونك ان شئت ، فقال له ابن الزبير  
أى يوم فقتلت عينك يا عدى ؟ قال فى اليوم الذى قتل فيه أبوك مدبرا  
وضربت على قفاك موليا فأفحمه<sup>(١)</sup> .

وأتى سالم بن دارة عدى بن حاتم فقال له قد مدحتك فقال له  
أمسك عليك حتى أنبتك ما لى فتمدحنى على حسبه ، لى ألف ضائفة ،  
وألفا درهم ، وثلاثة أعبد وفرسى هذا حبيس فى سبيل الله فقل فقال :  
تحن قلوبى فى معد وانما تلاقى الربيع فى ديار بنى ثعل  
وأبقى الليالى من عدى بن حاتم حساما كلون الملح سل من الحلل  
أبوك جواد ما يشق غباره وأنت جواد ما تعذر بالعلل  
فان تتقوا شرا فمثلكم اتقى وان تفعلوا خيرا فمثلكم فعل  
فقال له عدى : أمسك عليك لا يبلغ مالى أكثر من هذا ، وشاطره  
ماله<sup>(٢)</sup> .

(١) مجمع الامثال للبيداني ٢/ ٢٢٥ .

(٢) الشعر والشعراء ص ٣١٦ وانظر عدى بن حاتم ص ١٢٣ .

## الفصل الثالث

شراء آخرون



### النمر بن تولب

هو النمر بن تولب بن زهير ، وتجمع المصادر على أنه أحد أجواد العرب ، وفارسانهم المشهورين وقد عرف عنه بأنه كان واسع القري ، كثير الاضياف وهابا لماله ، لا يحبس شيئا منه ، وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه شعره بشعر حاتم الطائي وقد رويت عن بذه بعض الأخبار فقد ذكر أبو الفرج أن النمر بن تولب بعد ما كبر ، خرج في ابله فسأله سائل فأعطاه فحل ابله ، فلما رجعت الابل اذا فحلها ليس فيها ، فهتفت به امرأته وعذلتها وقالت فهلا غير فحل اهلك فقال لها<sup>(١)</sup> :

دعيني وامري ساكفيكه      وكوني قعيدة بيت — ضياعا  
فانك لن ترشدي غاديا      ولن تدركي لك حظا مضاعا  
وقال أيضا في عذلتها اياه :

بكرت باللالوم تلحاننا      في بعير ضل أوحانا  
علقت لوا تكـررها      ان لوا ذاك أعينانا  
ويتضح التشابه بين شعره وشعر حاتم في بعض قصائده التي قالها وهو يلوم عاذلته :

أعاذل ان يصبح صدأى بقفرة      بعيدا نأني صاحبي وقريبي  
ترى أن ما أبقيت لم أك ربه      وان الذي أمضيت كان نصيبي  
وذى ابل يسعى ويحسبها له      أخى نصب في سقيها ودؤوب  
غدت وغدا رب سواه يسوقها      وبدل أحجارا وجمال قليب

والأبيات في روحها ومعانيها وفكرتها تقرب من روح حاتم ومعانيه وفكرته ، وإذا قارنا هذه الأبيات بأبيات حاتم التي يقول فيها :

أماوى ان يصبح صدأى بقفرة      من الأرض لا ماء لدى ولا خمر  
ترى أن ما أبقيت لم أك ربه      وان يدي مما نحتت به صفر

(١) أبو الفرج : الأغاني ١٩/ ١٥٨ .

وجدنا أن التقارب بين الأفكار واضح ، وأن أصالة الكرم التي ينبعث منها النمر في العطاء والسخاء تكاد تكون قريبة من الروح السخية التي اندفع منها حاتم وقد ارتسمت عند كليهما معالم الايثار ، فلم تستعبداهما المادة ، وان كل واحد منهما يرى أن الحياة بذل وعطاء وان المال خلق لاكتساب الثناء والذكر الحميد ، ومن هنا كان المال عند النمر وسيلة لا غاية فهو يوظفه للبذل والعطاء لأن العيش في نظره قصير ، والحياة فانية ، وخير ما يتركه الانسان على الأرض ذكر طيب ، وثناء يردده الناس في كل مكان وقد صارت هذه المعاني الرفيعة تسمو في قصائده حتى أصبحت أصلا من أصول شعره واتجاها بارزا من اتجاهاته المتميزة ، فإذا عاتبته زوجته على كرمه ولامته على بذله وعطائه أجابها :

لا تجزعي ان منفسا اهلكته      واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي  
فاذا أثناني أخوتي فدعهم      يتعللوا في العيش أو يلهوا معي  
لا تطرديهن عن فرائي انه      لا بد يوما أن سيخلو مضجعي

ان هذه الأفكار التي لمعت في قصائده وأبياته كانت صورة حية لنفسه الكريمة ، وخلقه السخي وإيمانه الثابت ببقاء العمل الخالد .

ولم يكن الكرم وحده الصفة البارزة في حياة هذا الرجل وانما هناك مجموعة وغيرة من الصفات يستطيع المتتبع لشعره أن يستقرئها ، وهي على الغالب صفات حميدة ، وخصال رفيعة ، تدل على نفس طاهرة وقلب سليم يسعى الى المكارم ويتحلى بالخلق الرفيع فهو لا يخون ابن عمه في حليلته وهو يحرص ان يمضي للملاقاة ربه نقيا لا يدنسه عار :

لا يعلم اللامعات اللامحات ضحي      ما تحتكسحي ولا يعلم أسرارى  
ولا أخون ابن عمى في حليلته      ولا البعيد نوى عنى ولا جارى  
حتى يقال اذا وريت في جدثى      لقد مضى نمر عار من العار

وهو فارس يعتز بسيفه وفرسه ( صهبي ) ويبالغ في وصفها ، ويفرط في وصف سيفه أغراطا يعاب عليه الغلو :

أبقى الحوادث والأيام من نمر      أسباد سيف قديم اثره بادی  
تظلل تحفر عنه ان ضربت به      بعد الذراعين والساقين والهادى

وهو بطل يقتفى آثار الخصوم ويشهد المعارك ويثبت يوم الجلاء :  
سمونا ليذكر يوم النهى نوزقنا سمهريا طوالا  
فلما التقينا وكان الجلاء أحيوا الحياة غولوا اشلالا  
الى غير ذلك من الأغراض الشعرية التى شارك فيها شاعرنا النمر بن  
تولب ، وهى تمثل السمات البارزة فى شعره ، وهى فى الغالب صورة  
تترك فى نفس القارىء احساسا مشرقا من الخلق النبيل الذى تمثل  
فى حياته وهى صور يتخللها الايمان بمكارم الأخلاق والدعوة الى  
القيم النبيلة .

#### شعره :

يعد شعر النمر — صورة صادقة لحياته ونفسه وظروفه وهو على  
قلته يرسم الصورة الطبيعية له ، وقد برزت خلال قصائده مجموعة من  
الظواهر يمكن الاهتداء بها لتوضيح الجوانب الغامضة التى اكتنفت  
حياته ، على أننا نستطيع أن نثبت بعض الحقائق التى لمسناها من خلال  
قصائده التى وصلت إلينا .

فالنمر لم يكن من الشعراء الذين سخرُوا شعرهم للتكسب ولم  
يقبل فى المدح الا قصيدة واحدة يمدح بها الرسول الكريم ﷺ أما الهجاء  
فلم يجد فى شعره طريقا للظهور ، وهى ميزة ترسم لنا نفس الرجل التى  
وطنت للخير ، وجبلت على حب الخلق الرفيع ، بعد أن ابتعدت عن كل  
ما يدفعها الى الذل ويحملها على الخضوع ، ويبدو أن الخصائص النفسية  
التي اتسم بها الشاعر هى التى حددت له المعالم البارزة لهذا السلوك  
الشعرى وهى التى رسمت له الطريق للأغراض الشعرية أو الاتجاهات  
الشعرية .

وقد التزم النمر فى بعض قصائده طريق القدامى فى بناء القصيدة  
من حيث المضمون والشكل فهو يقتفى آثارهم فى البناء التقليدى — كما  
قدمنا — فيقف فى الموضع الذى وقفوا فيه ، ويستجيب للظاهرة التى  
تؤثر فيه ، ويشبه فى الأماكن التى شبه بها القدامى ، ولكن تقليده أخف  
واستجابته أوجز وتشبيهه أقصر ، أما من حيث المضمون فشأنه شأن



الشاعر القديم الذى سجل في شعره مظاهر الحياة ولواعج النفس ومتاعب الدهر ، الى جانب التصوير الذاتى للأبعاد الاخلاقية المتعلقة به تعلقا بحتا ، وهى ظاهرة فردية بارزة ، تبعد النمر عن الشعراء الآخرين الذين ذابوا في قبائلهم ، واندمجوا فيها اندماجا كليا ، ومن هذه الزوايا تتضح أهمية شعره في تقرير الظواهر الشعرية التى سادت الأدب العربى وأصبحت في عرف الدارسين حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل والنقاش ، وتمثل المعانى التى تطرق اليها في حياة حافلة بضروب المعارف ، وقد ألبس هذه المعانى ألفاظا جميلة تتصف بالصراحة ، كما تتسم بالصدق وتتشح بوشاح خلقي رقيق غلبت على شعره .

وان شعره يمثل اتجاها اخلاقيا متميزا قل أن تجد له نظيرا في الشعر العربى فهو يكره الكذب ويتألم منه وهذا ما حمله على مخاطبة زوجته بعد أن تركته وانصرفت الى منزل بعلمها :

جزى الله عنا جمره ابنة نوفل جزاء مغفل بالأمانة كاذب  
وهو يدعو الناس الى الكسب والسعى وينهاهم عن القعود والتخاذل ، لأن في ذلك مدعاة للمذلة واستهانة بالقيم التى يعتز بها المرء الكريم :

خاطر بنفسك كى تصيب كريمة ان الجلوس مع العيال قبيح  
فالمال فيه تجلة ومهابة والفقر فيه مذلة وقبح  
ان المضاطر مالك أو هالك والجدة يجدى مرة فيريح  
وهو يعالج المشاكل التى ألت بالناس ويشير الى القيم الجديدة التى استحدثت فيقول :

أرى الناس قد أحدثوا شئمة وفى كل حادثة يؤتممر  
يهينون من حقروا سبيبه وان كان فيهم يفى - ويبر  
وهو رجل مجرب لا يأمن الأيام لأن المضل وحده هو الذى يأمن شرها :

فصبيت من شحط فخير حديثنا ولا يأمن الأيام الا مضلل  
أما أيمانه بالقدر والموت فقد صرح به أكثر من مرة :  
فان النية من يخشها فسوف تصادفه - أينما

ويقول في مقام آخر : -  
واعلم أن ستدركني المناسيا فان لا أتبعهن - تتبعني  
رأيت المانعين المال يوما مصيرهم لالقاء - غدقن<sup>(١)</sup>  
وان كثيرا من المعاني الحضارية التي عرفت عند سكان المدن قد  
وجدت في شعره ، وان مشاهدته للرسول الكريم قد تركت في نفسه أثرا  
بارزا ، ويبدو أن هذا الاتجاه كان مهيا عند الشاعر لما لسناء في شعره من  
بعد عن المعاني الجاهلية واصطباغ شعره بالصبغة التي ينادى بها  
الاسلام حتى قبل اسلامه ، فقد ذكر الثعالبي<sup>(٢)</sup> أن النمر بن تولب  
وحميد بن ثور والناطقة الجمدي اجتمعوا في الجاهلية على معنى قول  
النبي ﷺ : « كفى بالسلامة داء » فتناهبوه بحسن الفاظهم وكأنما رموا  
بقوس واحدة فقال النمر :  
يود الفتى طول السلامة جاهدا فكيف نرى طول السلامة يفعل  
وقال حميد :  
أرى بصرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلم  
وقال الجمدي :  
ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء  
وفي أبياته التي يلوم فيها العاذل أو العاذلة لأنها تعاتبه على الانفاق  
وتلومه على المعطاء :  
أعاذل ان يصبح صدائ بقفرة بعيدا نأنى صاحبي وقريبي  
تري أن ما أبقيت لم أك ربه وان الذي أمضيت كان نصيبي  
نرى في ذلك شجها كبيرا بقول الرسول الكريم ﷺ : ويقول  
ابن آدم مالي مالي ، وانما لك من مالك ما أكلت فأفانيت أو لبست  
فأبليت ، أو اعطيت فأمضيت .  
ومما يثير الانتباه أيضا في شعره كثرة استخدامه للأمثال ،  
واستشاده بحوادث التاريخ لتوضيح الأفكار التي يسعى إليها ، وهي  
صفة تكشف عن ثقافة الشاعر واستيعابه للأحوال ومعرفته بأمور  
التاريخ .

(١) انظر شعر هذيل ففيه نماذج كثيرة .  
(٢) الثعالبي خاص الخاص / ١٠١ .

#### منزلته الشعرية :

للنمر بن تولب منزلة شعرية كبيرة أهلته أن يكون شاعر الرباب في الجاهلية (راجع ابن عبد البر في الاستيعاب ١٥٣٣/٤ والبغدادى في الخزائن ١٥٣/١) وحملت أبا عمرو بن العلاء على تسميته بالكيس لجودة شعره وكثرة أمثاله (أنظر ابن سلام الطبقات ١٣٤ وابن قتيبة الشعر والشعراء ٢٢٧ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٨١) وقد أجمع المؤرخون على أنه كان شاعرا فصيحاً جريئاً على المنطق ، وكان كثير البيت السائر والبيت المتمثل به ( أبو الفرج الاغانى ١٩/١٦٠ ) وقد وضعه ابن سلام في الطبقة الثامنة من فحول الجاهلية وهم أربعة فقط عمرو بن قميئة ، والنمر بن تولب ، وأوس بن غلفاء وعوف بن عطية وعده أبو زيد القرشى من الطبقة الثانية ( أصحاب المصنفات ) .

ان هذه الاشارات النقدية البسيطة التى أوردها القدامى — توضح المنزلة الشعرية التى كان يتمتع بها الشاعر الى جانب قدرته الفنية الرفيعة المتمثلة فى تجويده فى النظم وحسن تعبيره الذى كان يلائم بين اللفظ والمعنى وفى سلامة التركيب لغويا ونحويا .

وقد حملت هذه الخصائص كثيرا من اللغويين وأصحاب الجامعات والبلدانيين والمفسرين على الاستشهاد بشعره ، لقيمه اللغوية ، والأدبية والجغرافية وقد ساهمت هذه الكتب فى حفظ شعره ولولاها لضاع الكثير مما تبقى لدينا من شعره (١) .

(١) ابن سلام فحول الشعراء / ١٢٣ .

### أبو زبيد الطائي

هو حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة بن النعمان بن حية بن سمنة بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن هنيء بن عمرو بن الغوث بن طيء بن أدد المشهور بأبو زيد الطائي ويتصل نسبه بيمرب ابن قحطان ، وأبو زبيد شاعر مسلم كبير ، وإن كانت بعض المصادر القديمة تذهب إلى أن أبا زبيد كان نصرانيا ، وأدرك الإسلام ولم يسلم<sup>(١)</sup> .

ولكن الذي يقرأ شعر الشاعر ، ويتابع الأغراض التي نظم فيها بعض قصائده يجدها مغايرة لما عرف عن دينه وتبدو له صورة هذا الشاعر وكأنه من أشد المسلمين إسلاما وأكثرهم دفاعا عنه وعن حلفائه فهو يرثي الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه رثاء لم نجد له نظيرا عند غيره من الشعراء الذين رثوه لصدق عاطفته وتأثره :

على جنابيه من مظلومة قيم تبادرتها مساح بالمناسيف<sup>(٢)</sup>  
لها صواهل في صم السلام كما صاح القسيات في أيدي الصياريف<sup>(٣)</sup>  
كأنون بأيدي القسوم في كبد طير تكشف عن جون مزاحيف<sup>(٤)</sup>  
وأبو زبيد يرثي الامام عليا رضى الله عنه رثاء لم نجد له نظيرا عند غيره من الشعراء الذين رثوه لصدق عاطفته وتأثره لمصرعه وتقرأ فيها هول الفاجعة التي أصابت المسلمين :

إن الكرام على ما كان من خلق رهط امرئ خاره<sup>(٥)</sup> للدين مختار

(١) الشعر والشعراء ٢٢٠/١ والأغاني ٢٢/١١ وتاريخ ابن عساکر ١٠٩/٤ والإرشاد لباقوت ١٠٧/٤ .  
(٢) جنابيه : جانيبه ، مظلومة : أرض حفرت ولم تحفر قبل ، قيم : جمع قابة من التراب ، والمسحاه : ما سقى به كالمجرعة ، إلا أنها من حديد والجمع المساحي .  
(٣) الصواهل : جمع الصاهلة مصدر على فاعله بمعنى الصهيل وهو الصوت أى للسهل أصوات إذا وقعت في الحجارة وهي السلام بكسر السين كصوت الدراهم الزائلة .  
(٤) في كبد : في شدة الأبل المزاحيف : المعيبة وأنها جعلها جونا لأنهم حفروا له الحرة ، فاشبه الحرة بابل سود بشبه اختلاف المساحي فوق رموس الحفرين بلجنة الطير .  
(٥) خاره : أخضره .

طلب بصير بأضغان الرجال ولم يعدل بصير رسول الله أخبار<sup>(١)</sup>  
وقطرة قطرت إذ حان موعدها وكل شيء له وقت ومقدار  
حتى تنصلها في مسجد طهر على إمام هدى أن معشر جاروا<sup>(٢)</sup>  
حمت ليدخل جنات أبو حسن وأوجبت بعده للقاتل النار<sup>(٣)</sup>

وكل الدلالات الواضحة تؤيد أنه لم يكن مسلماً فحصب بل كان من أشد المسلمين اسلاماً ، لاستعماله الالفاظ والمصطلحات الاسلامية في شعره وذوده عن الاسلام والمسلمين فضلاً عن أنه كان قد أوصى بأن يدفن الى جوار الوليد بن عقبة ، ونحن نعلم أن مقابر المسلمين لا يدفن فيها الا المسلمون بالإضافة الى قتاله الى جانب المسلمين يوم الجسر حمية للمسلمين وهذا ما حمل الخليفة عمر بن الخطاب ( رضى الله عنه ) على أن يستعمله على صدقات قومه وأن يقربه ، ولا ننسى أن سيدنا عثمان بن عفان كان يقربه من مجلسه وينزله منزلاً كريماً وأنه صاحب الوليد بن عقبة مصاحبة طويلة<sup>(٤)</sup> .

وتعد إشارة الطبرى التي أغفلها المؤرخون الذين كتبوا عنه بعد الطبرى من أوضح الدلالات على اسلامه ، فهو يذكر أن أبا زبيد كان في الجاهلية والاسلام في بنى تغلب حتى أسلم ثم يقول وكان أبو زبيد يأتى الوليد بالجزيرة والمدينة فلم يزل الوليد به حتى أسلم في آخر اماره الوليد وحسن اسلامه ويؤيد ابن الأثير هذه الرواية فيقول : وكان أبو زبيد الشاعر في الجاهلية والاسلام في بنى تغلب وكان أخواله ظلموه ديناً — فأخذ الوليد حقه إذ كان عاملاً عليهم ، فشكر أبو زبيد ذلك له ، وانقطع اليه ، وغشيه بالمدينة والكوفة ، وكان نصرانياً فأسلم

(١) بصير بأضغان الرجال : خير بأسرارها ، والخير : العالم .  
(٢) تنصلها : يريد استخراجهما : حمت : قدرت ويروى أن علياً رضى الله عنه مر بيهودى يسأل مسلماً فقال له على : أسألتى ودع الرجل ، فقال له يا أمير المؤمنين أنت خير : أى عالم قال على أن تنال عالماً آخرى لك .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ٢٨٤٣/٥ وانظر شعراء اسلاميون ٥٦٨ .

(٤) الكامل لابن الأثير ٤٣/٣ .

عند الوليد وحسن إسلامه<sup>(١)</sup> وليس في شعره ما يؤيد نصرانيته كما هو الحال عند الشعراء الذين عرفوا بنصرانيتهم .

#### أغراض شعره :

إذا قرأنا شعر أبي زبيد شاهدناه يتناول أغراضا مختلفة في شعره فلقد قال الشعر مادحا وأبو زبيد إذا مدح فانه لا يمدح ليكتسب مالا أو عقارا ، أو ليبلغ منزلة كبيرة في قلب المدوح وإنما يمدح ليؤدي حقا وواجبا ، وليثني على صفة إنسانية أثرت فيه وأثارت شاعريته ، فهو يرثي الخليفة عثمان بن عفان مادحا خصاله ويرثي الخليفة الراشد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، لأنهما قتلا قتلة لا تليق بمقامهما ، قتلا والدولة الإسلامية بأمر الحاجة إلى رجال مخلصين للدعوة ، حريصين على الإسلام ، محافظين على أصالة الدعوة الإسلامية التي جاء بها الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم وهو يرثي ابن أخته اللجلاج ، ويرثي صاحب علم بموته ويرثي عبيد الله بن عمرو الخطاب يرثي هؤلاء جميعا فيركز على الصفات الإنسانية الفاضلة فيهم ، ويذكر صفات النبيل والمروءة والحمية ونصر المظلوم والأخذ بيد الضعيف كل هذا في أسلوب يأخذ بالألباب ويستولي على الأفتدة . كما اشتهر أبو زبيد بفن الوصف يغرب فيه ويبدع وأجل ما قاله في وصف الأسد ، وكان مغرّى بهذا الوصف بعبارات مهولة ، ترعب السامع ، وتتدخل الرعب والهلح في نفسه ، حتى كأنه يشاهد الأسد في تصويره وهذا ما حمل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى أن يلتفت إليه في مجلسه ، ويطلب منه أن يسمعه بعض قوله لأنه يجيد وصفه<sup>(٢)</sup> وعندما ينهى وصفه يقول له : اسكت قطع الله لسانك ، فقد رعبت قلوب المسلمين ، وقد بلغ في وصفه حدا جعل قومه يلومونه على كثرة هذا الوصف وقالوا قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له ، قال :

لو رأيتم منه ما رأيتم أو لقيتم منه ما لقي أكدر لما لقموني ثم أمسك عن وصفه فلم يصفه حتى مات .

(١) طبقات نحول الشعراء لابن سلام ص ٥٠٥ .

وتعد صور الأسد عند أبي زبيد من الصور الأولى التي وصف بها وصفا يدل على رؤية حقيقية ، وإن كان عروة بن الورد قد تعرض له بالوصف الدقيق المفصل الذي لا يتهاى إلا أن اتصل به اتصالاً قريباً ففى شعره يصفه بأنه عريض الصدر ، رابض فوق أجمة ، يتساقط قصبها فوق ظهره ، أما زئيره فيشبه صوت الرعد ، إلا أن أبا زبيد وصف أعضائه ودقق في أجزائه وقارن بينها وبين الصور المادية التي كانت تحيط به فاتفق منها أوجه شبه وضح فيها الصور وجسد الأبعاد ، ولون الزوايا ومن هنا كان من أوصف الشعراء للأسد ، لأنه رآه عن قرب ، وتأمل حركاته وأدرك ما يصيبه وهو يهجم بالهجوم ، ويترصده الفريسة وأحس بزمجرته المرعبة ، وبرائته الخشنة الغليظة ، ومخالبه المعقوفة الرأس ، وهذا ما جعل وصفه أدق حتى عد من أوائل الشعراء الذين عنوا بوصف الأسد ، وخصصوا جزءاً كبيراً من أوصافهم له .

يقول في ذلك :

ومن غلائل هام القوم محتلقا بمسحى من أمين الجلد اتعاباً<sup>(١)</sup>  
ومن سراييل أهباب مضرجة بصائك من دم الاجواف قدرا<sup>(٢)</sup>  
كان أثواب نقاد قدروا له يعلو بخلتها كهباء هدايا<sup>(٣)</sup>  
كانما كان تأيها لياتيهم في كل أبعاده يدنو تقرا<sup>(٤)</sup>

(١) الغلائل : واحدها غليلة ، وهى الخصلة من الشعر ، بمسحى : أى بمقتشور من الجلد قشر بالتملص وهو مفتعل من سحوت القرطاس أى قشرته .

(٢) أهباب : لخلاق من الثياب ، المسائد الذى له ربح ، راب أى غلظ كما يروى اللين .

(٣) النقاد : صاحب النقد وهى الغنم الصغار قدروا طبعاً عليه وجعلوا على قدر جسمه شبه جلد الأسد وشعره المتدلى بالقطيفة التى على الراعى ، الكهباء : التى تضرب إلى الغبرة .

(٤) التأييه : الدماء يقول كان زجرهم آياه .  
أما كان لياتيهم يصفه حين زجره القوم .

وثار اعصار هيجا بينهم وجلوا  
وما مغب بثنى الحنو مجتمبل  
مقابل الخطو في أرساغه مدع  
يفوت فيها لحام القوم شيعته  
يضىء محرامهم جمرا وأخطابا<sup>(١)</sup>  
في الغيل في ناعم البردى محرابا<sup>(٢)</sup>  
ضيارم ليس في الظلماء هبابا<sup>(٣)</sup>  
وردين قد آزرا حصاء مسغابا<sup>(٤)</sup>

#### ميزات شعره :

ولقد تميز أيد زبيد عن الشعراء الآخرين بمباشرة الموضوع الذي يريد معالجته من أول بيت في القصيدة وهو لا يعمد إلى خلق الجو الشعري المناسب ، ولم يخلق الجسر الذي ينتقل بواسطته إلى الهدف الذي حمله على نظم القصيدة ، غفى قصيدته التي قالها بسبب المكاء يقول في مطلعها :

خبرتنا الركبان أن قد غخرتم  
وفي قصيدته التي قالها في غلامه : —  
هل كنت في منظر ومستمتع  
عن نصر بهراء غير ذي فرس  
وفي مرثيته التي رثى فيها اللجلاج  
وضلال تأميل نيل الخلود  
ان طول الحياة غير سعود  
غرضاً للمنون نصب العود<sup>(٥)</sup>  
علل المرء بالرجاء ويضحى  
فمصيف أوصاف غير بعيد<sup>(٦)</sup>  
كل يوم ترميه منها برشيق  
م حتى يصير كالميلود  
من حميم ينسى الحياء جليد القو

- (١) هذا مثل ، يريد بالجبر نار الحرب بينهم والمحراث ما حرك به انثار أى سلاحهم يستثير نار الحرب .
- (٢) جعل الشيء واجتمعه كلاًها : وصفه المحراب : جعل المحراب كالجلس .
- (٣) الفدع : عوج وبيل في المفاصل كلها خلقة أو داء ، الضيبارم والضيبارية : الأسد الوثيق الجريء على الأعداء .
- (٤) الحصاء : السنة المجدية وقيل الحصص ان يتكسر الشعر ويقصر فقال لحية حصاء ورجل أحصى ، لحم القوم يلصهم : أطعمهم اللحم ولحام جمع لحم — ١ هـ .
- (٥) أنظر شعراء أسلاويون ٥٧٢ — ٥٧٣ .
- (٦) أى منصوباً مثل الهدف .
- (٧) الرشيق : الوجه من الرمي اذا رموا بأجمعهم وجهها بجميع سهامهم في جهة واحدة — يقال قد صاف السهم بصيف وصاف — بصيف اذا عدل من الهدف .



أما المعانى التى يختارها ، والألفاظ التى يستعملها فهى متأثرة الى حد بعيد بالألفاظ الإسلامية التى كان يتداولها الشعراء المسلمون فى تلك الفترة فهو يذكر التقى ، وحقق الوفاء ، ودفع الأذى بحسن العزاء ، ونيل الخلود والاعتماد على الله فى الرزق والإيمان بالقضاء والقدر وإن الأشياء لها أوقات ومقادير - وذكر الجنة والنار ، وغير ذلك من الألفاظ المتناثرة فى شعره الى جانب قدرته فى اختيار الألفاظ الخالية من تناسف الحروف ، والبعيدة عن الغرابة ، ولابد أن تكون للبيئة التى نشأ فيها والأماكن المتحضرة التى زارها أثر واضح فى هذا الاتجاه الذى لم يسلكه الا الشعراء الذين عاشوا فى جو متحضر وابتعدوا عن البيئة الصحراوية التى كانت تفرض على شعرائها ألفاظا معينة ومعانى محدودة ، وصورا شعرية معروفة لتصبح عندهم مقبولة مستساغة أما الأوزان الشعرية التى غلبت على شعره فهى تدل على أنه قد تأثر بمدرسة شعرية بالغة التطور ومتميزة عن غيرها بتنوع الأوزان والتعابير - ويتجلى هذا التطور فى غزوه الى استعمال بحر الخفيف الذى نظم به ثلث شعره ، ولم يستعمل هذا البحر عند سائر الشعراء الا على نحو عارض<sup>(١)</sup> .

ويجنىح أبو زبيد فى وسائله التعبيرية فى بعض الأحيان الى الاكثار من المبالغة فى استخدام التشبيهات والاستعارات والكنايات الى جانب استخدامه بعض المحسنات البديعية ، والخيال يشمل جانبا مهما من جوانب شعره وخاصة الوصفى .

وهو يستعير اللثم لكف الدهر :

كل عام يلثم قوما بكف الدهر حمقا وأخذ حى حريد<sup>(٢)</sup>

كما يستعير جبل العادية الممدود لسير الليل والاستقامة فيه كقوله :

(١) راجع دراسات فى الادب العربى لعز بناوم ٢٦٦ .

(٢) حى حريد : منفرد معتزل عن جماعة القبيلة .

ناط أمر الضعاف واجتمع لليل كحبل العادية الممدود<sup>(١)</sup>

ويكتئب عن الكريم بمطير اليبدين \*  
ويشبه شعر الأسد الذي يعلو كاهله بالثياب الممزقة كما يشبه  
ما تنفضن من جلد الأسد فوق حلقه ولهاه بمغار الرمل المتناثر الواسع  
وأنياب الأسد الحداد إذا قلص أشداقه بالحناجر :

يقول في الأسد :

له زبر كاللبد طارت رعايلا وكثفان كالشرخين عيل مضبر  
كان غضونا من لهاه وحلقه منار هيام عدمل منهور  
يعرد منه ذو الحفاظ مدججا ويحبى منه الأحمرى الدور  
رحيب مشق الشدق أغصف ضينم له لحظيات مشرفات ومحجر  
والحصنات اللظلية شائعة في شعره ، فهو يطابق في بيت واحد  
بين الهيفاء والعجزاء والمقبلة والمدبرة في قصيدته الغزلية الرائعة  
التي أجاد وصف المرأة فيها ، فهي ترنو بعين غزال وأنها مجدولة  
ليست مترهلة أو سمينية أو مسترخية اللحم مع برد في الأسنان  
وعذوبة في الريق وأنها نعمت البطانة في اليوم البارد المطير :

نعمت بطانة يوم الدجن تجعلها دون الثياب وقد سريت اثوابا  
قربا حضنك لا بكر ولا نصف توليك كشحا لطيفا ليس محشبا  
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة مياسة جدلت شنياء أنيابا  
ترنو بعيني غزال تحت صدرته أحسن يوما من المشقة هلابا  
بجيد ريم كريم زانه نسق يكاد يلهمه الباقوت الهابا  
أما منزلته الشعرية فتتمثل في زيارته للملوك وتقربهم له وأعجاب  
الخلفاء بجودة أوصافه الشعرية وقد ألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة  
من الشعراء الاسلاميين وهم العجير السلولى ، وعبد الله بن همام  
السلولى ، وابن لقيط الأسدى .

وفاته :

ولما صار الوليد بن عقبة الى الرقة ، واعتزل عليا ومعاوية سار

(١) اجتمع : صنع وجعل ، والعادية البئر القديمة أى جعل يسم  
الليل كله مستقيما كاستقامة جبل البئر الى الماء .

أبو زبيد إليه ، فكان ينادمه وبينما هو يشرب رفع رأسه إلى السماء  
ونظر ثم رمى الكأس عن يده وقال :  
إذا جعل المرء الذي كان حازما      يحل به حل الحوار ويحصل  
فليس له في العيش خير يريده      وتكفيه ميتا أعف وأجمل  
أتاني رسول الموت يا مرحبا به      ويا حبذا من مرسل حين يرسل  
ثم مات فجأة وجاء أصحابه فوجدوه ميتا • وهذا يعني انه كان  
حيا خلال سنوات ( ٣٧ - ٤٠ ) •

### مالك بن الربيع ٦٠ هـ ٦٨٠ م

هو مالك بن الربيع بن المازني التميمي<sup>(١)</sup> .  
شاعر من الظرفاء الأدباء الفتاك الشجعان اشتهر في أوائل العصر  
الأموي ورويت عنه أخبار في أنه قطع الطريق مدة ، وراه سعيد بن  
عثمان بن عفان ، وهو بالبادية في طريقه بين المدينة والبصرة فأنبسه  
سعيد على ما يقال عنه من العيث وقطع الطريق واستصلحه واصطحبه  
معه إلى خراسان ، فشهد فتح سمرقند وتنسك وأقام بعد عزل سعيد ،  
فمرض في مرو وأحس بالموت فقال قصيدته الياثية المشهورة قال أبو  
علي القالي ، كان من أجمل العرب جمالا وأبينهم بيانا وهو شاعر لم  
يغن الحصائم في الروض الأغن ، ولم يعم مع السواقي في الوادي  
الضائع ، ولم يذلل مع النجم في الأسفار الندية يعطر الفجر ، ولم  
يتبع الشمس في العشايا السكرى بخمر الغروب ، ولم يرقب طيف  
الحبيب في الليالي التي تكتم أسرار الهوى .

ولئن سابقت شاعرية الشعراء الزمان فسبقت الشباب ، وظهرت  
بوادرها في مدارج الصبا ، وملاعب الفتوة ، فان هذا الشاعر لم تنبثق  
شاعريته إلا على سرير الموت ، وشفا الردى ، على عتبة الدنيا خارجا  
منها ، وعتبة الآخرة داخلا إليها ، في الساعة التي يعيا فيها الشاعر ،  
ويؤمن فيها الكافر ، ويضعف فيها القوى ، ويغترق فيها الغنى ، ولم  
تنبثق إلا بقصيدة واحدة ، ولكنها كانت نفحة من عالم الخلود فخلد  
بها .

قصيدة وهبها للموت اذ تغنى له فيها ، فوهب له الموت بها الحياة .  
لم يتفلسف تفلسف المعري ، ولا تجبر تجبر المتنبي ، ولا أغرب  
أغراب الدريدي ولكنه جاء بأقرب الأفكار في أسهل الالفاظ — فجاءت  
من هذه السهولة عظيمة القصيدة ، والفنون كلها تموت ان اكرهتها على  
الحياة في جو التكلف ، التكلف في التفكير أو التعبير ، ان الفنون لا تحيا  
إلا في الانطلاق والحرية — وكل الفنون . الكتابة والشعر والتصوير

(١) الاعلام ج ٦ ص ١٣٤ طبعة ثالثة .

والموسيقى حتى الالتقاء يحتاج الى ذلك وهذا ما عاش فيه الفارس  
الشاعر شاعر لم يعيش شاعرا ، ولكنه مات شاعرا ، عاش  
عمره كله يغنى بسنانه للحرب ، لا يغنى بلسانه للحب ، ولا يعمل لوصل  
الأحبة وسلب القلوب ، ولكن يعمل لقطع الطرق ، وسلب القوافل ،  
كان لصا من أشهر لصوص العصر ، ثم تاب ومشى الى الجهاد في جيش  
ابن عفان حتى أدركته الوفاة وهو على أبواب خراسان ، في بلاد  
لا يعرفها ولا تعرفه ويتذكر وهو بها . بلده وأرضه ويدرك قيمة تلك  
النعم الجسم ، ولا يدرك المرء قيمة النعم الا بعد زوالها ، وتثور  
في نفسه الأماني ، فلا يتمنى الا أن يبيت ليلة أخرى بجانب الغضى ،  
وأن يسوق كرة أخرى ابله الى المرعى ، ويذكر كيف كان يزدري هذه  
النعمة التي يراها الآن عظيمة ، ويتمنى ( وليس ينفع التمنى ) لو أنه لم  
يسر من تلك الديار ، أو لو أنه طال الطريق حتى يستمتع بها ، يقول هذا  
بالفاظه ورنته الباكية ، وقافيته الحزينة التي تذكرنا بقصيدة أخرى  
من وزنهما ورويها لشاعر يمانى غريب هو عبد بغوث :

الا ليت شاعري هل أبيتن ليلة

بجنب الغضى أزجى القلاص النواجيا

فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه

وليت الغضى ماشى الركاب لياليا

لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى

مزار ولكن الغضى ليس دانيًا

ويلوم نفسه ، ويعجب منها كيف سوغت له أن يقبل بهذا النفي راضيا  
مختارا ، ويعجب من أبويه كيف لم ينهياه وما الذى جاء به الى باب خراسان  
وقد كان نائيا عنه :

ألم ترني بعت الضلالة بالهسدى

وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا

(١) الغضى نبت من تبت البادية ، شديد اخضراره ، حابية ناره .  
(٢) اسوق سوقا رفيعا والقلاص : الايل ، والنواجي : السريعة .

فلله درى كيف أترك طائعا  
بنى بأعلى الرقمتين وماليا  
ودر الظباء السانحات عشية  
يخبرن أنى هالك من وراثيا  
ودر كبرى اللذين كلاهما

على شقيق ناصح لو نهائيا  
وكيف يفتش عن ييكى عليه فلا يجد أحدا ، لا يجد من ييكى  
الا سيفه وفرسه ، وليس ينفع الميت أن يذكره ذاكر الا ذاكر ا بدعاء أو  
صدقته ، ولا يضره أن ينساه الناس ، وما حفلات القابين  
للميت ولكن للأحياء يصعدون على قبر الميت ليقولوا للناس انظروا  
الينا ، واسمعوا بياننا وصفقوا لنا ، ولقد صدق من قال اذ قال : « كلنا  
بيكى فى المآتم وكل ييكى على ميتة ، ليس ينفعه بكاء ولا نواح ولكنها  
غريزة التمسك بالحياة والاستكثار منها :  
تذكرت من ييكى على فلم أجسد

سوى السيف والرمح الردينى<sup>(١)</sup> باكيا  
وأشقر خنزير يجر عنانه

الى الماء لم يترك له الدهر ساقيا  
وما أروع هذه الصورة وأجملها . هذا الحصان يتلفت يمنا ويسرة  
ويدور وينعطف يفتش عن صاحبه فلا يلقاه فينسى الطعام والشراب حتى  
يبرح به العطش ، ولا يجد من يسقيه ، فيجر عنانه الى الماء ، ولو أن  
مصورا صور معنى هذا البيت لكان لوحة من لوحات العبقريّة ، وها كم  
هذه اللوحة التى بلغت من الروعة أبعد الغايات والتى تذيب القلوب  
فتسيلها دموعا يقول :

ولما تراءت عند مرو منيتى وحل بها جسمى وحانت وفاتيا  
أقول لأصحابى ارفعونى فأننى يقر لعينى أن سهيل — بداليا  
فياصاحبى رحلى دنا الموت فأنزلا برابية انى — مقيم — لياليا  
أقيما على اليوم أو بعض ليلة ولا تمجلان قد تبين — ما بيا

(١) منسوب الى ردينة وهى امرأة كانت تثقف الرماح اى تقويمها .

وقوما اذا ما استل روحى وحيثا لى السدر والاكتاف ثم أبكيا ليا  
خذانى فجرانى ببردى اليكما فقد كنت قبل اليوم صعبا - قياديا  
ويعلم أنه لن يجد من يقوم على قبره ، ويشيد بذكره غيرى نفسه  
ويكشف عن فعاله بمقاله :  
وقد كنت عطايا اذا الخيل أدبرت سريعا الى الداعى اذا ما دعانيا  
وقد كنت محمودا لدى الزاد والقرى  
وعنى شتم ابن العم والجار وانيا  
وقد كنت صبارا على القرن فى الوغى  
ثقيلا على الأعداء غصبا لسانيا  
ويعود الى اتمام هذه اللوحة الرائعة ، فيتصور مسير أصحابه  
وبقاءه فى هذه الفلاة :  
غداة غد يا لهف نفسى على غد  
اذا أدلجوا عنى وخلفت ثاويا  
وأصبح ما لى من طريف وتالد  
لغيرى وكان المال بالأمس ماليا  
ثم يسأل رفيقيه حاجة له هى آخر حاجاته من دنياه ، أن يحملوا نعيه  
الى بئر الشبيك حيث أزدحم بنات الحى ، يملأن الجرار ويستقن ،  
فيصرخ ، فيدعن ما هن فيه ، ويتلفتن اليه وتسمع زوجته ، فيلقى اليها  
بوصاته ، وما وصاته الا أن تتقف على القبور علها تذكرها بقبره الضائع  
حيث لازائر ولا ذاكر :  
وقوما على بئر الشبيك فاسمعا  
بها الوحش والبيض الحسان الرواثيا  
بأنكما خلفتمانى بقفرة  
تهيل على الريح فيها السوافيا  
ولا تنسويا عهدى خليلى اننى  
تقطع أوصالى - وتبلى عظاميا  
فلن يعدم الوالون بيتا يجننى  
ولن يعدم الميراث منى المواليا

ويا ليت شعري هل تغيرت الرحى  
رحى المثل<sup>(١)</sup> أو أضحت بفلج كما هيا  
إذا مت فاعتادى القبور فسلمى  
على الريم<sup>(٢)</sup> اسقيت الغمام القواديا  
ويعود الى حاضره ويتفكر فى نفسه ، ويرجع الى ذكر بلده وأهله  
فيقول فى آخر قصيدته :  
أقلب طرفى فوق رحلى فلا أرى  
به من عيون المؤنسات مراعيًا  
وبالرمل منانسوة لو شـهدننى  
بكين وفدين الطبيب مداويا  
فمنهن أمى وأبنئهاها وخالتي  
وباكية أخرى تهيج البواكيا<sup>(٣)</sup>  
وما كان عهد الرمل منى وأهله  
ذميما ، ولا بالرمل ودعت قالبيـا  
لقد مات مع مالك فى تلك السفرة آلاف وآلاف ولا يزال الناس قبله  
وبعده يموتون فينساهم الناس وينساهم أهلهم ورفاقهم وهذا  
الشاعر جعلنا نذكره ونبكيه بعد ألف وأربعمائة أو يزيد ، وهذه هى عظمة  
الشعر ، وهذا هو خلود الشاعر وصدق الملشاعر اذ يقول :  
من يقل مات شاعر ضل سعيًا  
الفن لا يكون للشـعراء

(١) رحى المثل الخ : مواضع فى ديار قديمه .

(٢) الريم : القبر .

(٣) المراد بها زوجته على مادة العرب فى كتابتهم بالازواج .



### قطرى بن الفجاءة<sup>(١)</sup>

هو أبو نعامه قطرى بن الفجاءة ، واسمه جعونة ابن مازن بن يزيد بن زياد بن خنثر بن كابيبه بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم بن مرة المازنى الخزرجى . خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولى العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير فى سنة ست وستين للهجرة ، فبقى قطرى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفى يسير اليه جيشا بعد جيش وهو يستظهر عليهم .

وحكى عنه أنه خرج فى بعض حروبه وهو على فرس أعجف وبيده عمود خشب ، فدعا الى المبارزة ، فبرز اليه رجل ، فحسر له قطرى عن وجهه ، فلما رآه الرجل ولى عنه ، فقال له قطرى : الى اين فقال : لا يستحي الانسان أن يفر منك .

وكان رجلا شجاعا مقداما كثير الحروب والوقائع قوى النفس ، لا يهاب الموت ولا غزو فى ذلك ولا عجب فقد ورث القيادة عن قومه بنى تميم فهم محاربون من الطراز الأول فى الجاهلية والاسلام وكان لبيئتهم التى عاشوا فيها ، وللأرض التى سكنوها ، وتنقلوا فيما حولها أثر فى كثرة حروبهم اذ كانت أرضهم فى كثير من الأحيان معبرا للغير المتجهة الى اليمن أو الآتية منها الى هجر والبحرين ثم الى العراق فى الشمال ، وطبيعى أن تنشأ حروب يكون من أسبابها احتكاكهم بالمسافرين فى أرضهم واحتكاك المسافرين بهم ، وتشاحنهم معهم<sup>(٢)</sup> .

ولقد كان بنو تميم أيضا فى الاسلام رجال حرب ويكفى أن نستدل على ذلك بأن كثيرا من فرسان قطر كانوا من بنى تميم ، والتاريخ ملئ بالمواقف والمشاهد التى يصنعها أبطال بنى تميم ، اذا غلبت قطرى وقبيلته وتاريخها فى الجاهلية والاسلام احاطته بكل مظاهر

(١) وسبب تسمية أبيه الفجاءة ان إياه كان باليمن فقدم على أهله فجاءة فسمى به وبقى عليه أنظر وفيات الأعيان ج ٤ ٩٣ - ٩٤ دار الثقافة - بيروت .

(٢) راجع كتاب أيام العرب فى الجاهلية .

البطولة ، وامتدته بكثير من الفكر الحربى ، وأودعت فى نفسه كثيرا من الفروسية والذبل .

فقد كان قطرى قائدا بجسمه ، فقد أوتى صورة فى ملامحه وهيئته ترعب وتخيف ، ولقد كان يهاجم أعداءه أحيانا وهو ملثم ليفاجئهم برؤيته وهيئته حين يقتربون منه ولا ننسى قول أحد أعدائه : « ان الانسان لا يستحق أن يفر من مثلك »<sup>(١)</sup> .

هو اذا قائد مكتمل اللياقة البدنية ، وليس هناك شئ يدل على اكتمال هذه اللياقة أكثر من أن يعثر جواده فيسقط فيتهدى الى السفح ثم يظل بكل جسمه المتين القوى لا يؤثر فيه ذلك التساقط وانما يؤثر فيه عطشه وحاجته الى قليل من الماء .

ان الممارك التى خاضها أبو نعامه ، تدلنا على قائد بعيد النظر سليم الخطة يطمئن جنوده اليه ، ويثقون فى النصر ما كانوا معه . وهو فى هجومه ، فارس نبيل لا يبارز أحدا الا اذا كان له ند يقول هو عن نفسه :

ألا أيها الباغى البراز تقربين أسافك بالموت الذفاف المقتشبا  
فما فى تساقى الموت فى الحرب سبة على شاربيه فاسقنى منه واشريا  
فشاعرنا قطرى لا يبارز الا كفئا ، ولا ينازل الا ندا ، انه يريد أن يضرب القوى حتى يفرغ الذين هم دونه من حوله ، فيسهل عليه تحقيق النصر فى سرعة ، ودون كثير من التضحيات يروى ابن قتبية أن رجلا من العرب قال :

« انهزمنا من قطرى وأصحابه ، فأدركنى رجلا على فرس  
فسمعت حسا منكرا خلفى فالتفت فاذا انا بقطرى فيئست من الحياة  
فلما عرفنى قال : « أشدد عنانها ، وأوجع خاصرتها قطع الله يدك قال ففعلت فنجوت منه »<sup>(٢)</sup> .

لقد عرفه قطرى ورآه صيدا هزيلا ، غراح فى شئ من العطف ينصحه ويرشده ، ولقد كان من الممكن أن يرجع عنه ، ولكنه يريد أن

(١) انظر الكامل للمبرد ج ٣ ص ٢٢٠ والبداية والنهاية ج ٩ ص ٢٠ .

(٢) ديوان الاخبار ج ٣ ص ١١٢ .

يشعره بأنه قد نجا بمهارته هو ، وذلك هو خلق المحارب النبيل تعمده السعادة حين يرى خصمه قد أفاد منه . ويعد قطري قائدا من الطراز الأول ، عرف المسالك والدروب والوهاد والنجاد والجبال والأنهار وهذه المعرفة الجيدة لأرض فارس وأصبيهان وكرمان وما حولها قد ساعدته على سرعة الحركة وعلى الانسحاب المفاجيء أحيانا أو الهجوم المفاجيء أحيانا أخرى .

ولو قدر له أن يحارب بجماعة لها نظام مستتب لتحقيق له ما يريد ، ولكنه كان يحارب بجماعة لم يستقر نظامها ، ولم تأخذ شكل الدولة ولم تكن لجماعتهم عاصمة معينة منها يواجهون واليها يلجئون على حين كانت خصومهم أصحاب نظام مستقر وعاصمة بعيدة عن ميدان القتال ، يواجه الخليفة منها أوامره ورسائله الى عماله في الأقاليم ويعمل ويتصرف وهو هادئ مطمئن وذلك من أهم أسباب نجاح خصوم قطري في تحقيق النصر عليه .

ولو قدر لأبي نعام أن يستولى تماما على فارس ، وأن يقيم فيها نظاما مستقرا لتغير وجه التاريخ ولانتصر على بني أمية (١) .

#### شعره :

كما تقدمنا فان قطريا شاعر فارس ملم بقواعد الفروسية يقول التبريزي عنه « فارس مذكور وشاعر اسلامي مجيد ، سلموا عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة وكانت له امرأة تسمى أم حكيم وكانت من أشجع الناس وأحسنهم بدينهم تمسكا ، وكان قطري يحبها حبا شديدا وله فيها شعر حسن .

وشعر قطري قليل ، وهو وفي قلته لا يتفق وكثرة الأحداث التي عاشها وعانها ، والمرور منه كله يدور في الدعوة الى القتال والحماسة ، ومن البدهي ألا نجد له شعرا في المدح ولا في الهجاء ، وذلك لأن منزلته كخليفة للخوارج وقائد لهم لا تسمح بأن يقول شعرا في المدح ولا في

(١) قطري بن الفجاءة ابراهيم عبد المطلب يونس المؤسسة الامرومية القاهرة .

الهجاء ، هذا الى عقيدته التي تبرأ من الكذب ، والمدح أو الهجاء قد يشوبها كثير من الكذب رغبة في ارضاء الممدوح ، وشهوة في اغاظة المهجو ولكن لا يبعد أن يكون من شعره الذي لم يصل اليها شعر في وصف الطبيعة وفي تصوير ما حوله من أنهار وجبال خاصة وأنه كان يرتحل من مكان الى آخر ويمر بتلك المناظر كما لا يبعد أن يكون من شعره ما يصور طموحه وآماله بل ربما كان منه ما يتحدث عن الحب في اجلال وتقديس .

وأول ما يطالعنا من شعره قصيدته التي قالها في معركة دولا ب ، وهذه القصيدة قد حار النقاد في نسبتها الى صاحبها وغالب الظن أنها له اعتماداً على ما قاله المبرد في الكامل وأبو الفرج في الأغاني<sup>(١)</sup> يقول قطري :

لعمرك انى في الحياة لزاهد	وفي العيش ما لم ألق أم حكيم
من الخفريات <sup>(٢)</sup> البيض لم ير مثلاً	شفاء لذى بث <sup>(٣)</sup> ولا لسقيم
لعمرك انى يوم الطم وجهها	على نائبات الدهر جد لثيم
ولو شهدتني يوم دولا ب ابصرت	طمان فتى في الحرب غير ذميم
غداة طفت غلماً <sup>(٤)</sup> بكر بن وائل	وعجنا <sup>(٥)</sup> صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول حدها	وأحلافها من يحصب وسليم
وظلت شيوخ الأزد في حومه الوغى	تعوم وظلنا في الجلال نعوم <sup>(٦)</sup>
فلم أر يوماً كان أكثر مقعصاً <sup>(٧)</sup>	يمع دما من فائظ <sup>(٨)</sup> وكليم
وضاربة خدا كريماً على فتى	أغر نجيب الأمهات كريم
أصيب بدلاوب ولم تك موطننا	له أرض دلاوب ودير حميم <sup>(٩)</sup>
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا	تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم	بجنات عدن عنده ونعيم

- (١) الكامل ج ٢ ص ١١٧ الأغاني ج ٦ ص ١٥١ .  
 (٢) ذات خفر : أى ذات حياء .  
 (٣) بث : حزن .  
 (٤) مجنا : أبلنا .  
 (٥) نعوم : فيه اقواء وهو عيب في القافية .  
 (٦) مقعصا : الميت في مكانه .  
 (٧) الفائظ : القليل .  
 (٨) دلاوب : اسم مكان .

والقصيدة يعلن فيها علاقتها بألم حكيم وحبها لها وتعلقه بحبالها ،  
فهو شغلة الشاغل ، وأمله الباقى في الحياة ، ولولاها لزهد في العيش  
وسئم البقاء ، ويتفنن قطري في وصف محبوبته فهي ذات حياة وخفر ،  
كريمة الأصل ، حصنة الوجه ، لا يستطيع أن يرى لها مثيلا في اسعاد  
المحزون ، وشفاء المريض ، وهي لكريم محبتها تصان ولا تهان ومهما يكن  
من نائبات الدهر ، فلا يصح أن تصاب في شيء والا كان ذلك خسة  
ولو ما .

ثم تحدث عن شدة القتال وروعة النصر فألم حكيم لو شهدت قطريا  
وهو يحارب يوم دولاب لرات محاربا عظيما سديد الرأي عظيم الطمن  
لقد كانت المعركة قوية ، وكانت ضحايا الاعداء كثيرة فهؤلاء بنو بكر  
وقد طفت جثثهم على الماء وهؤلاء بنو تميم قد كر عليهم الخوارج  
فحطموا قوتهم وغرقوا جمعهم ، وأما عبد القيس فكان لها أشد ضرب  
وأعنف ، وكذلك أصاب أحلامها ما أصابها ، ولم تتج الأزد من شدة  
القتال فقد كانوا في حومته ، وكانهم غرقى على حين ، ومما جعلهم  
يقبلون على الموت ويستعذبونه حتى أن بعضهم كان حين يحس وقع  
الصيف أو طعن الرمح يتلو قوله تعالى : « وعجلت إليك رب لترضى »  
والقصيدة تصور جانبا من صفات قطري فهو رجل يحب في جلال  
وعظمة ، وهو فارس نبيل ، يحترم المرأة ويحرص على معاملتها معاملة  
كريمة ، وهو فخور بالنصر ، شامت بهذه القبائل التي تصالفت على  
حرب الخوارج ، فكان جزاؤها هزيمة منكرة في يوم لم ير مثله في كثرة  
القتلى والجرحى ، وهو حزين على من مات من الخوارج واثق بأن  
الجنة لهم .

والقصيدة من جانب آخر عدة أفكار يسردها الشاعر سردا في  
سهولة وبساطة وهي أفكار لا تدل على تفلسف أو عمق ، وإنما هي  
أفكار قريبة تسجل في وضوح الأحداث البارزة في يوم « دولاب »  
وهي قليلة الخيال يثلب عليها الطابع الفكرى المسكرى وتأثيرها  
بالقرآن الكريم وقد انتهى يوم دولاب عن قتلى كثيرين ، ودماء سالت  
بغزارة من القتلى والجرحى .

كما يصور حزن بعض سيدات الفوارج على قتلاهن قرب سيدة كريمة قد فجعت في فتى شريف أصيل الأمهات كريمها ، فلطمت خدها حزنا عليه ، وأنه قد أصيب بدولاب وهي ليست له بموطن وكذلك ليست دير حميم بموطن له ، أنه هنا يدافع عن عقيدته بعيدا عن وطنه لقد خرج مجاهدا فاصيب بهذه الأرض •

كما يتضح فيها رأى الفوارج في خصومهم وأنهم في نظرهم كفار تباح أعراسهم وحريمهم ونرى في القصيدة أيضا شعار الفوارج الذي يعتقونه فهم قد باعوا أنفسهم لله واشتروا جنات النعيم ، ولقد كان ذلك شعارهم عند كل قتال مما جعلهم يحاربون بروح معنوية عالية الحماس الرائع ويتضح ذلك في قصيدته التي بلغت شهرة دائمة حتى يكاد يحفظها كل من له تعلق بالأدب والشعر : ويتمثل بها في مواطن الجرأة والشجاعة :

يقول :

أقول لها وقد طارت شعاعا	من الأبطال ويحك لن تراعى <sup>(١)</sup>
فانك لو سألت بقاء يوم	على الأجل الذي لك لم تطاعى
فصبرا في مجال الموت صبيرا	فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز	فيطوى عن أخى الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حى	فداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم	وتسلمه المنون الى انقطاع <sup>(٢)</sup>
وما للمرء خير في حياة	إذا ما عد من سقط المتاع <sup>(٣)</sup>

أبيات قطري في الحماسة ( أقول لها ... القصيدة ) تشجع أجبن الناس ، وما أعرف في هذا الباب مثلها ، وما صدرت الا عن نفس أبيه وشهامة عربية<sup>(٤)</sup> .

(١) لن تراعى : لن تفزعى •

(٢) يعتبط : الاعتباط الموت دون علة •

(٣) سقط المتاع : الشيء الذى لا فرق بين وجوده وعدمه ولا توقف المنفعة عليه •

(٤) وفيات الأعيان ج ٣ : ٢٥٦ •

وهي فكرة واحدة متعاسكة يناقش فيها الشاعر مع نفسه فكرة الحياة والموت مستمداً من هذا النقاش وسائل اقتناع نفسه بالمصير أمام الأعداء والمصير في مجال الموت .

والأبيات تصور قطرياً انساناً واقعياً تتعلق نفسه بالحياة وثقافة الموت وهو يجالذ نفسه كما يجالذ أعداءه في شدة ، ويكشف لها عن سخلية شعورها بالخوف ، وتفاهة تعلقها بالحياة وله قصيدة أخرى تسلك هذا الطريق نفسه ولا تقل قوة عن سابقتها يقول فيها :

لا يركن أحد إلى الأحجام<sup>(١)</sup> يوم الوغى متخوفاً ... لحمل<sup>(٢)</sup>  
فلقد أراني للرماح دريئة<sup>(٣)</sup> من عن يميني مسرة وأمامي  
حتى خضبت بما تحدر من حمى أكتاف<sup>(٤)</sup> سرجي أو عنان لجلمي  
ثم انصرف وقد لصيت ولم أصب جذع<sup>(٥)</sup> البصرة قلح<sup>(٦)</sup> الاقدام  
انه هنا يحثهم على التقدم ، ويحذرهم من أن يجعلوا بالخوف من الموت وسيلة إلى التخلف عن الجهاد ، أن هروب الانسان من الوغى وغراره منها لا يبعد بينه وبين الموت ، وكذلك اقتحامه أهوال الحرب لا يقارب بينه وبين الموت .

ها هو قطري يهلجم أعداءه حتى يكون هدفاً لرماحهم عن يمينه وشماله وأمامه ، وتصيبه وتخضب بدمه أكتاف سرجه وعنان لجامه ولكنه مع ذلك ينصرف وقد أصاب ولم يصب ، ينصرف قوياً في هجومه ، شديداً في اقدامه ، والأبيات تكشف عن رجل حرص على الموت فوهبت له الحياة ، وعن نفس مطمئنة إلى أن « لكل أجل كتاب » كما أن الأبيات تصور براعة قطري في القتال وروعته في الهجوم وتحمله ثأر يمينه دون ترلج عن هدفه .

(١) الأحجام : النكوص والتأخر .

(٢) حربة : غرسة .

(٣) الحيام : الموت .

(٤) أكتاف المروج : جوانبه .

(٥ ، ٦) الجذع والقارح من صفات الخيل فالجذع المستغنى عنه في الرياضة والقارح : الذي بلغ النبلية في السن .

### أهم المراجع والمصادر

- ١ — الأغاني — لأبي الفرج الأصفهاني — بيروت
- ٢ — الشعر والشعراء — لابن قتيبة — بيروت
- ٣ — الاصابة في أخبار الصحابة — بيروت
- ٤ — لسان العرب — لابن منظور — دار المعارف مصر
- ٥ — تاريخ الطبري — الطبري — بيروت
- ٦ — المعرون — للسجستاني — بيروت
- ٧ — حياة الصحابة — بيروت
- ٨ — المسجد — لابن حبيب — بيروت
- ١٠ — مجمع الأمثال — للميداني — بيروت
- ١١ — خاص الخاص — الثعالبي — بيروت
- ١٢ — أدب الكاتب والشاعر — ابن قتيبة — القاهرة
- ١٣ — للعمدة — بيروت
- ١٤ — تاريخ آداب اللغة العربية — جرجي زيدان — دار الهلال
- ١٥ — أدب صدر الاسلام — محمد خضر — بيروت
- ١٦ — صحيح البخاري — دار الشهاب مصر
- ١٧ — ديوان كعب بن مالك — بيروت
- ١٨ — زهرة الآداب وثمر الألباب — الهيئة المصرية
- ١٩ — البيان والتبيين — للجاحظ — القاهرة
- ٢٠ — البداية والنهاية — لابن كثير — دار الفكر بيروت
- ٢١ — تهذيب ابن عساكر — بيروت
- ٢٢ — قادة فتح العراق والجزيرة — محمود شيت خطاب — بيروت



٢٣ - معجم البلدان	لياقوت	بـميوت
٢٤ - المسالك والممالك	للاصطخرى	بـميوت
٢٥ - طبقات ابن سعد		بـميوت
٢٦ - الاستيعاب	لابن عبد البر	بـميوت
٢٧ - سيرة ابن هشام	مصطفى الطنبى	بـميوت
٢٨ - كتاب الغزوات	لابن حبيش	مخطوط
٢٩ - تاريخ الرسل والملوك	للطبرى	بـميوت
٣٠ - مختار الأغاني		بـميوت
٤١ - شرح شواهد المعنى للسيوطى		بـميوت
٣٢ - الارشاد	لياقوت	بـميوت
٣٣ - الكامل	ابن الأثير	بـميوت
٣٤ - طبقات فحول الشعراء	ابن سلام	الهيئة المصرية
٣٥ - الاعلام	لخير الدين الزركلى	بـميوت
٣٦ - شرح ديوان الحماسة للمرزوقى لجنة التأليف والترجمة		بمصر
٣٧ - شرح ديوان الحماسة	للتبريزى	بـميوت

## الفهرس

الموضوع	صفحة
المقدمة	٥

### الفصل الأول :

شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم	٩
كعب بن مالك	١١
عبد الله بن رواحة	٢٠
القعقاع بن عمرو	٤٠ - ٦٦٠ م
سراقة ذو النور بن عمرو فاتح الأبواب	٢٤
توفي	٥٢٢ - ٦٤٢ م

### الفصل الثاني :

شعراء الفتوح الإسلامية	٢٩
المثنى بن حارثة الشيباني	٣١
سعد بن أبي وقاص / فاتح العراق والجزيرة	٣٤
هاشم بن أبي وقاص الزهري	٣٧
فاتح محور ديبالي من المدائن الى جلولا	٣٧
الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي فاتح منطقة	٤١
عرب الجزيرة وفاتح أذربيجان وبعض أرمينية	٤٤
ضرار بن الخطاب فاتح ماسبذان في إيران	٤٤
نافع بن الأسود ( أبو نجيد )	٤٨
أبو مفزر الأسود	٥٥
ربيعة بن مكرم الضبي	٥٧
خفاف بن ندبة	٥٩
عدى بن حاتم الطائي	٥٩
عدى الفاتح والفارس الشعاع	٦٢

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث :	
شعراء آخرون	٧٥
النمر بن تولب	٧٧
أبو زبيد الطائي	٨٣
مالك بن الريب ٥٦٠ - ٦٨٠ م	٩١
قطري بن الفجاءة	٩٦
أهم المراجع والمصادر	١٠٣



رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٧/٤١٩٣

